

تَسْهِيلُ فَهْمِ
شَرْحِ الطَّحَاوِيِّ

ألف أسْوالَ وَهَوابٍ في شَرْحِ الْمُعْتَبَةِ الطَّحَاوِيَّةِ
للإمام أبي العزِّ الحنفِيّ

تأليفُ
خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين الغامدي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٠م - ٢٠٠٠م

دار الجمع للنشر والتوزيع

الادارة ٦٨٩١٤١٧
الكتابة ٦٨٩٤٤٦١ } جدة ٢١٥١١ - ج ٤٠٨٤٥ - ص ب
الفاكس ٦٨٩٤١٤٤
الكتابة ٨٩٤١١٣٦ } الفروع : الخبر - شارع الامير نايف - تقاطع ١٦ - ص ب : ٢٣٢٦ - الخبر ٢١٩٥٢
الفاكس ٨٦٤٣٧٢٥
الكتابة ٨٢٣٦٣٠٦ } المدينة النورة - شارع الستين - ص ب : ٢٠٤٤٤
الفاكس ٨٢٣٦٢٧٩



التمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فهذا عمل متواضع، وإسهام بسيط، في تسهيل فهم شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي يرحمه الله. وقد عني الباحثون بهذا الشرح المفيد، كون شارحه سلفي المعتقد، آخذاً بالأثر، ملتزماً بالمنهج السلفي الوسطي، وقد شرح المتن الذي كتبه الإمام محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي، على معتقد أهل السنة والجماعة، رحمهم الله تعالى.

فطبع هذا الشرح، وحقق مرات عدة، واختصر شرحه، ورُتب على أركان الإيمان، كما رتب في نقاط - من بعضهم - ولم يراعَ في ذلك ترتيب الشارح الذي سار عليه، وكل هذا من فعل الخير والبر، في سبيل إيصال الفهم الصحيح لهذه العقيدة السلفية التي سار عليها أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يومنا هذا، وكل له اجتهاده في الترتيب والتنظيم الذي لا يخل بأصل الكتاب، ولا يخل بما فيه من تأصيل شرعي لمعتقد أهل السنة والجماعة، ولذا كان هذا العمل المتواضع إسهاماً في هذا الباب، راجياً أن أوفق فيه، وأن يفي بالغرض الذي وضع من أجله.

وقد نهجت في هذا الكتاب النهج الآتي:

١ - طريقة السؤال والجواب، بشكل مباشر، لأنها في رأيي طريقة

ناجحة تسهل وصول المعلومة بوضوح تام لذهن طالب العلم، وتزيل عنه التشتت الذي يواجهه البعض، نظراً لطول الشرح، وكثرة الاستطرادات من شارحه رحمه الله، وتداخل مباحثه العقديّة في بعضها، وتقدم بعضها على بعض، في غير مواضعها، وتأخر بعضها، وكأنّ الأولى تقديمه في موضعه.

٢ - أما الحكم على الأحاديث، فلم أوضح منها إلا ما كان إسناده ضعيفاً، فأشير إليه إشارة عابرة في الهامش أو المتن، لأن هذا قد خدم من غيري، فأثرت أن لا أطيل به حجم هذا التسهيل.

٣ - وأما المصطلحات الكلامية التي وردت في كلام الشارح، كالجوهر والعرض، والماهية.. إلخ، فقد بذلت وسعي في التعريف بها تعريفاً مختصراً في الهامش.

٤ - وقد سلكت طريقة النقاط في تبيان كلام الشارح، فجعلت كلامه في نقاط مرقّمة ليسهل استحضارها قدر المستطاع، كما اجتهدت في جعل هذا الكتاب في فصول جامعة لأهم مسائل العقيدة.

٥ - مما يميز هذا التسهيل أنه على أبواب وفصول الطحاوية ذاتها، لم يتغير فيها شيء من الترتيب، ليسهل استذكاره على طريقة المتن وشرحه التي وضعها الإمام الطحاوي، ومن بعده ابن أبي العز في شرحه، رحمهم الله.

وأولاً وآخرأ أشكر الله الذي منّ علي بتأليف هذا التسهيل - وهو جهد متواضع - أقدمه بين يدي طلبة العلم عسى أن ينفع الله به، كما أشكر والذي الكريم الشيخ ناصر بن سعيد الغامدي، الذي شجعني في طلب العلم الشرعي وبذل لي ما يستطيع في هذا السبيل، كما شجعني في تأليف هذا الكتاب بعد عرضه عليه، فجزاه الله خير الجزاء، كما أشكر أخي وشقيقي الأكبر الشيخ سعيد بن ناصر الغامدي، الذي أفادني بتوجيهاته العلمية القيمة، في حياتي العلمية، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعانني فيه بأي نوع من الإعانة. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وإن يكن صواباً فمن

الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي الأمانة بالسوء، ومن الشيطان. وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه الطيبين الطاهرين.

كتبه: أبو عبد الله خالد بن ناصر بن سعيد

آل حسين الغامدي

سامحه الله

آبها

في يوم الجمعة المبارك

١٦/١٠/١٤١٨هـ - ١٣/٢/١٩٩٨م

الفصل الأول

المقدمة

المقدمة

س ١ من هو مؤلف كتاب الطحاوية؟ ومنى ولد، ومنى كانت وفاته؟

ج: مؤلف كتاب العقيدة الطحاوية، هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن جعفر بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد سنة ٢٣١هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ.

س ٢ على من يجب الإيمان المجمل؟ وهل يجب على كل أحد معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل؟

ج: يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، من تدبر للقرآن، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ومجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

ويجب على من سمع النصوص وفهمها، من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك.

س ٣ ما سبب الضلال في باب العقائد والعجز عن معرفة الحق؟

ج: ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب، أو عجز فيه عن

معرفة الحق؛ فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وترك النظر والاستدلال الموصول إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦).

س ٤ المؤمنون بحاجة إلى إيضاح الأدلة الشرعية ودفع الشبه الواردة، وضع ذلك؟.

ج: لأنه كلما بعد العهد ظهرت المدع، وكثر التحريف الذي سماه أهله تأويلاً، ليُقبل، وقلٌ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد سُمي صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثمة قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سماه تأويلاً، قبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما.

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة، ودفع الشبه الواردة عليها.

س ٥ ما سبب دروس وذهاب كثير من علم الرسالة؟.

ج: ١ - سببه جهل وضلال وتفريط كثير من المتكلمة والمتفلسفة الذين يقولون: إنما نريد التوفيق بين العقلية - وهي في الحقيقة جهليات - والنقلية عن الرسول ﷺ، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

٢ - وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتسكة والمتصوفة. إنما نريد الإحسان والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل الذي يسمونه. حقائق وهي جهل وضلال.

٣ - عدوان وجهل وفاق كثير من المتملكة والمتأمرة، الذين يقولون: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة.

س ٦ هل لك أن تعطينا بعض النقول عن بعض أئمة السلف في ذم علم الكلام؟

ج: نعم ومن ذلك:

* قول أبي يوسف لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام، فيل زنديق، أو رمي بالزندقة.

* وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام؛ تزندق، ومن طلب المال بالكيماء؛ أفلس، ومن طلب غريب الحديث؛ كذب.

* وقال الإمام الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يصربوا بالحديد والعال، ويظاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتب والسنة وأقبل على الكلام.

* وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين

س ٧ قيل: "إن طريقة السلف أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم" فما جوابك؟

ج: هذا القول قاله ضلال المتكلمين وجهلتهم، كما يقوله من لم يقدرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: "إن المتأخرين أفقه منهم، لأنهم لم يترغوا لاستنباطه وصبط قواعده وأحكامه اشتعالاً منهم بغيره، فهم أفقه!!".

وكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف، التي كانت همة القوم (السلف) مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهمهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر.

س ٩ لماذا كره السلف التكلم بالجوهر^(١) والجسم^(٢) والعرض^(٣)؟

ج: كره السلف التكلم بها لاشتغالها على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة.

ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين فضلاً عن علمائهم.

س ٩ من هو شارح متن العقيدة الطحاوية، ولماذا شرحها؟

ج: شرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء، ولكن الشارح رأى بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعباراتهم. ولذا شرحها الإمام القاضي، علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي، الذي يقول:

"وقد أحبيت أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على موالهم، متطفلاً عليهم، لعلني أنظم في سلوكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمريهم...".



(١) الجوهر هو الجزء الذي لا يتحرأ ولا يقبل الانقسام، وهو لفظ محدث مندرج لا أصل له في الشرع، قالت به الفلاسفة والمعتزلة، ومرادهم بذلك هي صفات الرب تعالى.

(٢) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل الجسم هو المركب من اسجواهر. (التعريفات للجرجاني، ص ٤١)

(٣) العرض هو ما يقابل الجوهر، ويطلق أيضاً على الكلي المحمول على الشئ الخارج عنه، ويسمى عرضاً، ويقابله الداتي. أو هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاءه بعد وجوده.

أو هو الموجود الذي يحتاج في بقاءه إلى موضع - أي محل - يقوم به كاللون المحتاح في وجوده إلى جسم يحمله ويقوم به.

الفصل الثاني

أنواع التوحيد

أنواع التوحيد

س ١٠ ما هي أول دعوة الرسل؟

ج: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ. وجميع الرسل دعوا أقوامهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده.

س ١١ ما أول واجب على المكلف؟ ومن الذي خالف أهل السنة في ذلك؟

ج: أول واجب على المكلف، شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وخالف في ذلك أرباب الكلام المذموم فقالوا: أول واجب النظر، وقال آخرون: بل القصد إلى النظر، وعلا آخرون فقالوا: بل الشك أول واجب. وأئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد؛ الشهادتان، فالتوحيد أول ما يُدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

س ١٢ ما حكم من صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟

ج: قال الشارح: الصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام.

س ١٣ ما أنواع التوحيد؟

ج: توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله تعالى خالق كل شيء ومدبر كل شيء .
توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد أن الله واحد في أسمائه وصفاته .
توحيد الإلهية: وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وعبادته وحده لا شريك له .

س ١٤ اذكر ما يضاد أنواع التوحيد الآتية الذكر .

ج: توحيد الربوبية: يضاده أن يعتقد أن لهذا العالم خالقان متكافآن في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية. وهذا التوحيد لم يذهب إلى بقيصه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مطبوعة على الإقرار به وممن وقع في الشرك بالربوبية. المجوس الذين زعموا أن للشرك خالقاً غير الله، ومنهم فرعون الذي زعم أنه الله وأنكر الإله الحق.

توحيد الأسماء والصفات: يضاده نفي هذه الصفات، أو وصف الخلق ببعض صفات الله تعالى؛ ونفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد توحيد الألوهية: ويضاده، عبادة غير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبودية لغيره تعالى؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والندر، والذبح والاستغاثة... إلخ.

س ١٥ ما شبهة المعتزلة وجههم بن صفوان في إنكار الصفات؟ وماذا جنى هؤلاء بهذا القول؟

ج: شبهتهم في نفي الصفات، أنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب (الخالق)، وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل.

وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول^(١)

(١) الحلول: لفظ حادث فاسد المعنى والمغزى، وزعم الحلوليون أن الله حل في شيء من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين طرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين..

والاتحاد^(١) وهو أقبح من كفر النصارى؛ فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

س ١٦ بين الشارح رحمه الله، توحيد المعتزلة (إنكار الصفات)، وماذا جنى على أهله، ثم ذكر فروعاً لهذا التوحيد، عند من غلا فيه، فما هي؟

ج: ١ - من فروع هذا التوحيد، أن فرعون وقومه، كابدوا الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

٢ - ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

٣ - ومن فروعه: أنه لا فرق في التحليل والتحريم بين الأم والأخت والأحسية، ولا فرق بين الماء والحمر، والزنى والنكاح، الكل من عيس واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

٤ - ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٧ من أشهر من عرف تجاهله بإنكار الخالق، ولم؟

ج: أشهر من عرف بذلك؛ نمرود وفرعون، فالأول حكى الله قصته في سورة البقرة والثاني في مواضع عدة من القرآن، وقد كانا مستيقنين به في الباطن، كما قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاطِرٍ﴾.

= بعضهما، كالماء في الورد. وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والمطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

(١) الاتحاد ويسمون أهل الوحدة، ويرغمون أن الله حل في شيء من مخلوقاته، والجنون عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين ببعضهما، كالماء في الورد، وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والمطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

ولهذا قال: وما رب العالمين؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف،

قال له موسى:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٥) قَالَ رَبِّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقْقِنُونَ ﴿٢٨﴾.

س ١٨ هل يصح قول من قال أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية^(١) في الآيات الآتية الذكر؟

(ج) زعمت طائفة أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية، عجز موسى عن الجواب، وهذا غلط، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن، على أن فرعون كان جاحداً لله، نافياً له، لم يكن طالباً للعلم بماهيته. فلهذا بين لهم موسى، أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل؛ بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من كل معروف.

س ١٩ هل عرف عن أحد من الطوائف أنه قال إن العالم له خالقان متمثلان في الصفات والأفعال؟ وعلام يدل هذا؟

(ج) لم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له صانعان متمثلان في الصفات والأفعال.

فإن الثنوية من المجوس، والمانوية^(٢) - القائلين بالبور والظلمة، وأن

(١) الماهية: ماهية الشيء؛ أساسه وحقيقته وحوهره، وتطلق عالماً على الأمر المتعقل من الإنسان، وهي أنواع.

(٢) المانوية هم من الثوية، يسون لمؤسسها ماني بن فاتك، ويقولون. إن مبدأ العالم شيتان؛ الأول. نور، والثاني ظلمة، فالنور هو العظيم الأول وهو الإله الحق، والظلمة تختص بما هو شر وهلاك.

العالم صدر عنهما - متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين.

وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد. ويقولون. باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد. وعلى اختلافهم في تعيينه وفي التعبير عنه، فإنهم يقولون. هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم، ثم يختلفون في ماهية الأقنوم.

وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين. فليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين.

س ٢٠ ما دليل التمانع عند أهل الكلام والنظر؟ ولماذا يستدلون به؟ وهل يصح ما ذهبوا إليه؟

ج: دليل التمانع عندهم: أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما (مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياء والآخر إماتته).

١ - فإما أن يحصل مرادهما.

٢ - أو مراد أحدهما.

٣ - أو لا يحصل مراد واحد منهما.

فالأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الصدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع. ويستلزم عجز كل واحد منهما، والعاجز لا يكون إلهاً. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية.

ويستدلون بدليل التمانع على إثبات توحيد الربوبية، وكثير منهم يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن

ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب: هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ أَنَّهُ ۖ﴾. فلم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله في خلق العالم، بل كانوا مشركين يتوسلون بهذه الأصنام، ويتخذونهم شفعاء، وهذا كان أصل شرك العرب.

س ٢١ هل لك أن نعطينا بعض الأدلة على أن أصل شرك العرب لم يكن في الربوبية، وإنما كان في الإلهية؟

ج: نعم والأدلة على هذا كثيرة في الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿قَدْ لَمَنَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ يَهُ ۥ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ يَهُ ۥ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٨٧) قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ يَهُ ۥ قُلْ فَإِنَّ تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩). فشركهم كان في توحيد الألوهية، فيما يسمونه وسائط ووسائل تقربهم إلى الله تعالى يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلُمَى ۖ﴾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: "لعن الله اليهود والمصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

س ٢٢ "توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية" أوضح ذلك؟

ج: توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، دون العكس، فمن لا يقدر على الخلق، يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخَلَّقُونَ﴾ (١٩١). فالإقرار بأن الله وحده هو الذي يستحق العبادة، يتضمن الإقرار بأنه وحده الخالق والمحيي والمميت.

أما توحيد الربوبية فلا يتضمن توحيد الإلهية؛ لأنه قد يقر بأن الله هو الخالق وحده والمدبر وحده، ثم يعبد من دونه آلهة يزعم أنها تقربه إليه.

س ٢٣ ما دليلك أن التوحيد المطلوب من البشر هو توحيد الإلهية (الذي يتضمن توحيد الربوبية) وأن العباد مفطورون عليه؟

ج: الأدلة على هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَأَفِقْ لِدِينِ حَبِيباً فُطِرَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيْتُ الْقَتِيمُ وَلَنِكَأَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: "خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين".

س ٢٤ ما الأدلة العقلية على صدق ما أخبر به الرسول ﷺ من أن الشر مجبولون على معرفة الله بالفطرة؟

ج: ١ - أن يقال: لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وتارة ما يكون باطلاً، وهو حساس متحرك بالإرادة، فلا بد له من أحدهما، ولا بد له من مرجح لأحدهما. ونعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق ويتنفع، وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق ويتنفع، وحينئذٍ فالاعتراف بوجود الصانع والإيمان به هو الحق أو نقيضه.

والثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول؛ فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به. وبعد ذلك: إما أن تكون محته أنفع للعبد أو لا، والثاني فاسد قطعاً، فوجب أن يكون في فطرته محبة ما ينفعه.

٢ - ومنها: أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسبه، وحينئذٍ وإن لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين لفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع، استجابت لما فيها من المقتضي لذلك.

٣ - ومنها: أن يقال: من المعلوم أن كل نفس قابلةٌ للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتخصيص لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم الجماد والبهائم لم يقبلا.

ومعلوم أن حصول إقرارها بالصانع ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي قائماً في النفس، وقد عدم المعارض فالمقتضي السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها من يفسدها؛ كانت مقرة بالصانع عابدةً له.

٤ - ومنها: أن يقال: إنه إذا لم يحصل المفسد الخارج، ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضيةً للصالح، لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ.

٥ - منها: ما يحكى من قصة أبي حنيفة مع جماعة من أهل الكلام لما أرادوا أن يقرروا توحيد الربوبية. فضرب لهم مثلاً بسفينة في دجلة. إلخ.

س ٢٥ ما التوحيد الذي يعتقد به أهل التصوف والكلام؟ وهل ينفعهم ذلك؟.

ج: يقرون بتوحيد الربوبية ويقولون^(١) فيه ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب منازل السائرين - أبو إسماعيل الهروي - وغيره، ومع ذلك إن لم

(١) الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة عن السالك أو المريد الصادق^١. وقد قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام: نوع للكاملين من الأنبياء والصالحين، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمناققين الملحدين لمشبهين بالأولياء الفناء عن إرادة ما سوى الله؛ بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه والثاني: الفناء عن شهود السوي؛ فلا يحظر قلوبهم غير الله ولا يشعرون بغيره، بحيث يكون عن استغراقه لا يشعر بغيره، وهذا الموضع زال فيه أقوام وطوا أنه اتحاد وأن المحب يتحد بالمحسوب. والثالث: الفناء عن وجود السوي - الفناء في الوجود - بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره، وهذا قول ربح الاتحادية الرندقة كالبلخاني والتلمساني والقونوي وغيرهم. انظر (الفتاوى ١٠/ ٢٣٧، ٢١٨) و (التعريفات للجرجاني، ٩٠) و (معجم ألفاظ الصوفية ٢٢٧).

يعبدوا الله وحده، ويتبرؤا من عبادة كل ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

س ٢٦ القرآن الكريم مملوء بتقرير توحيد الإلهية، بين ذلك مع ذكر بعض الأدلة؟

ج: من ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنه إذا لم يكن لهم خالق إلا الله، فلم يعبدون غيره ويجعلون معه آلهة أخرى؟! كما قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاوُدَ نَهَجَةً مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُسَيِّئُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ٦٠﴾. فيقول تعالى في آخر كل آية: أإله مع الله، أي إله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك. وليس المعنى استفهام؛ هل مع الله إله؟ كما طنه بعضهم.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٢١﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ۚ﴾.

س ٢٧ ما دليل التمانع، وماذا يفيد؟

ج: دليل التمانع قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُذِّبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ﴾. وأنزله الله تعالى ليبطل قول من أشرك به سبحانه في الربوبية، فلا بد في هذا الذي ذكره الله تعالى من ثلاثة أمور:

١ - إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢ - وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣ - وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

فدليل التمانع دل على أن خالق العالم واحد لا رب غيره فلا إله سواه، فذاك تمنع في الفعل والإيجاد وهذا تمنع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

س ٢٨ ما الآية التي ظن طوائف أنها إية التمانع، ولم؟ وماذا أفادت الآية؟.

ج: الآية قريب معناها من آية التمانع، ولكنها ليست هي، وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وغفلوا عن مضمون الآية:

* فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة ولم يقل: أرباب.

* وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما - وهما موجودتان - آلهة سواه لفسدتا.

* وأيضاً فإنه قال: (لفسدتا) وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجد. وأفادت الآية أنه لو كان لهذا الكون إلهان معبودان لفسد نظامه كله، ولكنه إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه.

س ٢٩ كيف يكون توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بين ذلك؟

ج: نعم توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَقَمِنِ خَلْقُكُمْ لَمْ يَخْلُقْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَعُوا بِإِيَّائِي النَّارَ

سَيِّئًا ٤٢﴾.

س ٣٠ ما تفسير آخر آية في الجواب الآنف الذكر؟

ج: جواب هذه الآية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَتَّبَعُوا إِلَىٰ دِي الْقَرْيَسِ سَبِيلًا﴾ (٤٧).

فيها للمتأخرين قولان:

أحدهما: لاتخذوا سبيلاً إلى مغالبته.

الثاني: وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير ولم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَدْيَهُ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩).

س ٣١ ما توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد، وما التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي؟

ج: ١ - توحيد المعرفة والإثبات هو (التوحيد العلمي الخبري) وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ.

٢ - توحيد الطلب والقصد هو (التوحيد الطلبي الإرادي) وهو إفراد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له.

س ٣٢ هات أدلة من الكتاب الكريم على النوعين السابقين؟

ج: الأدلة كثيرة ومتنوعة:

فمن الأدلة على النوع الأول: كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص).

ومن الأدلة على الثاني: سورة (الكافرون) وأول (السجدة) وآخرها، وأول سورة (يونس) ووسطها وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وعالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، فإن القرآن:

- إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له.

- وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده في الدنيا والآخرة.

- وإما خبر عن أهل الشرك، وما وقع لهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة.

فالقُرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

س ٣٣ ما معنى الشهادة وما مراتبها؟

ج: عبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء والإعلام والبيان والإخبار. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه.

فلها مراتب أربع:

١ - أول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به.

٢ - وثانيها: تكلمه بذلك.

٣ - وثالثها: أن يعلم غيره بها ويبينها له.

٤ - ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

س ٣٤ هات دليلاً على مرتبة العلم؟

ج: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْتَمُونَ﴾.

وقوله ﷺ "على مثلها فاشهد" وأشار إلى الشمس.

س ٣٥ هات دليلاً على مرتبة التكلم بها؟

ج: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَلَمَّتِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَدَتُهُمْ وَسُئِلُونَ﴾ (١٩).

س ٣٦ مرتبة الإعلام والإخبار نوعان، ما هما؟

ج: ١ - إعلام بالقول.

٢ - إعلام بالفعل.

س ٣٧ وضح كيف تكون الشهادة والإعلام بالفعل، مع الدليل؟

(ج) التعليم تارة يكون بالقول، وهذا لا إشكال فيه.

وتارة يكون بالفعل، مثاله: من جعل داره مسجداً وفتح بابها وأمرزها بطريقها، وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها: معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ به. ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾. فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

س ٣٨ مرتبة الأمر والإلزام به؛ (مجرد الشهادة لا يستلزمه) بين ذلك؟.

(ج) مرتبة الأمر بذلك والإلزام به - وأن مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه - فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به كما قال تعالى: ﴿وَقَصَّ رَبُّكَ الْأَنْبِيَاءَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وذلك يستلزم الأمر باتخاذها إلهاً واحداً.

س ٣٩ الله تعالى بين وحدانيته غاية البيان بطرق ثلاث، ماهي؟.

(ج) الطرق الثلاث هي:

- ١ - السمع.
- ٢ - البصر.
- ٣ - العقل.

س ٤٠ هل لك أن تبين هذه الطرق الثلاث؟.

(ج) * أما السمع: فسمع آياته المتلوة المبينة لما عرفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها غاية البيان. كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْكَلِمُ الْبَيِّنُ﴾. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وكذلك السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا إلى رأي فلان ولا إلى ذوق فلان ووجدية في أصول ديننا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ

أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾ . فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة .

* وأما آياته العيانة الخلقية : فالنظر فيها ، والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية .

* والعقل يجمع بين هذه وهذه ؛ فيجزم بصحة ما جاء به الرسول ﷺ ؛ فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة .

س ٤١ ما بعث الله نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه . ما دليلك ؟ .

ج : الأدلة على هذا كثيرة جداً من الكتاب والسنة ، فمنها ، قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوُا أَحَدَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿١٥﴾ .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ وَآشَهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥١﴾ مِنْ دُونِهِ . فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ . فأي آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلتهم ؟ .

والله تعالى يرى عباده من الآيات الأفقية والفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق ، قال تعالى : ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ﴿١﴾ . وهذا استدلال بأسمائه وصفاته ، والأول استدلال بقوله وكلماته ، واستدلاله بالآيات الأفقية والفسية استدلال بأفعاله ومخلوقاته .

س ٤٢ كيف يستدل بأسمائه وصفاته على ألوهيته وكمال صفاته ، على أن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح ؟ .

ج : الجواب : ١ - أن الله تعالى قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل ، ولا بالتشبيه والتمثيل ، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه .

ومن كماله المقدس؛ شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماء ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا معه غيره؟.

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه. ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كادب مفتر عليه. والقرآن مملوء من هذه الطريق وهي طريق الخواص، يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما يفعله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَفَوْكَ عَلَيَّا بَعْضَ الْأَفَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَحَدْنَا مِثَّهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِثَّهُ الْوَيْتِ ﴿٤٦﴾ فَمَا مَكَرٌ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٢ - ويستدل أيضاً بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك. قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾. وأضعاف ذلك في القرآن. وهذه طريق قليل سالكها لا يستدل بها إلا الحواص.

سر ٤٣ هناك من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، ما هذه الأنواع؟ وهل تتوافق مع التوحيد الذي جاءت به الرسل؟

ج: الذين قالوا بهذا هم بعض الصوفية، وقسموه إلى ثلاثة أنواع.

الأول: توحيد العامة: وهو التوحيد الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب.

الثاني توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق.

الثالث: توحيد خاصة الخاصة: وهو توحيد قائم بالقدم.

ولا ريب أن هذا تقسيم فاسد لا يلتفت إليه، فلا توحيد أكمل من التوحيد الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأُمم عليه، ولهذا أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقتدي بهم فيه، كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدُ﴾. فملة إبراهيم: التوحيد ودين محمد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً.

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة؛ الذي من رغب عنه، فهو من أسفه
السفهاء قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَعَىٰ نَفْسُهُ وَلَقَدْ
أَصْطَلَقْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَوْ رَبُّهُ أَسْلَمَ قَالَ
أَسْلَمْتُ رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴿١٣٢﴾

س ٤٤: بين خطورة التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة؟.

ج: لا شك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد
الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء^(١) الذي يشمر إليه غالب الصوفية،
وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد. انظر إلى ما أنشده شيخ الإسلام أبو
إسماعيل الهروي الأنصاري رحمه الله تعالى حيث يقول:

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عاريةً أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعت لاحد^(٢)

وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً

(١) انظر تعريف الفناء وأنواعه، ص: ٢٤.

(٢) يعني بهذه الأبيات أن كل من وحد الله فهو جاحد لحقيقة توحيده^{١٩} وتوحيد الباقين
عنه عارية أبطلها الواحد، فالعارية لا بد أن ترجع إلى صاحبها، فهي وحدة مطلقة من
جميع الوجوه، وتوحيده الحقيقي هو توحيده لمسه نفسه، وبعت الباعت له إلحاد
وميل عن الصواب!

قال ابن القيم رحمه الله: أين قوله: (ما وحد الواحد من واحد) من قوله تعالى:
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا عَلَيْهِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحده، وأن أولي العلم يوحده، وكذلك إخباره
عن أنبيائه ورسله وأتباعه أنهم وحدوه ولم يشركوا به شيئاً. ونظير الباطل أن ينادي:
كل من وحد الله من الأولين والآخرين جاحد له. انظر (مدارج السالكين ٣ ٥١٤)
وقد اعتذر له ابن القيم وحمل كلامه على محامل حسنة، وذكر أنه ممن نافع عن
التوحيد، وله كتب في ذم المعطلة والحلولية، مثل كتب (دم الكلام)، فرحمهم الله ما
أجلهم وأدبهم مع بعضهم في حمل كلام بعضهم على أحسن محمل ما دام له وجه
لذلك.

محتملاً جذبه به الاتحادي إليه، وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه، ولو سلث الألفاظ الشرعية التي لا إجمال فيها كان أحق. مع أن المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوباً منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس إليه وبينه، فإنَّ على الرسول البلاغ المبين.

فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إليه؟!، فهذه النقول والعقول حاضرة هل جاء فيها ذكر الفناء؟ وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين المُشبه لغلو الخوارج بل لغلو النصارى في دينهم، وقد ذم الله الغلو في الدين ونهى عنه.

س ٤٥) هل يمكن أن يكون للمخلوق صفات وللخالق صفات وللمخلوق أسماء وللخالق أسماء؟ بين ذلك؟.

ج: اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من صفات المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة المشبهة.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على النفاة المعطلة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق؛ فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

وكثير من المعطلة يوافقون أهل السنة أنه: (موجود) (عليم) (قدير) (حي).

والمخلوق يقال له. موجود حي عليم قدير، ولا يقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه

عاقِل، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيَ نَفْسَهُ بِأَسْمَاءَ، وَسَمِيَ بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَا، وَكَذَلِكَ سَمِيَ صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءَ، وَسَمِيَ بِبَعْضِهَا صِفَاتَ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ الْمُسَمَّى كَالْمُسَمَى، فَسَمِيَ نَفْسَهُ. حَيًّا عَلِيمًا قَدِيرًا رُؤُوفًا رَحِيمًا عَزِيزًا حَكِيمًا سَمِيعًا بَصِيرًا مُلْكًا جَبَّارًا مُتَكَبِّرًا، وَقَدْ سَمِيَ بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْخَلْقَ مِنْ أَلَمِيَّةٍ﴾ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رُفِعَ لَكُمْ هَذَا الْقَوْلُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زِينَةَ الدِّينِ﴾ ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مُلْكُ الْعَزِيزِ﴾.

وقد سمي الله ورسوله صفات الله علماً وقدره وقوة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ تَعَدٍ ضَعِيفَ قُوَّةٍ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ لَدُوٌّ عَلَيْهِمْ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ﴾.

ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

س ٤٦ زعم بعض أهل البدع أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، كيف ترد عليهم قولهم؟.

(ج) يرد عليهم بما مر آنفاً في الجواب السابق. ويقال لمن هي الصفات التي وصف الله بها نفسه أو نفي بعضها كالغضب والرضا والحب والبعض:

أنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر. مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيتَه وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبته إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات!.

قيل له . فأنت تثبت له الأسماء الحسنی ، مثل حي ، عليم ، قدير ،
والعبد یسمى بهذه الأسماء ، وليس ما یثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما
یثبت للعبد . فقل فی صفاته نظیر قولك فی مسمى أسمائه .

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى، بل أقول: هي محاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً، بل أنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموحود إما واجب بنفسه^(١)، وإما غير واجب بنفسه^(٢) وإما قديم أزلي^(٣)، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن^(٤)، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عن ما سواه. وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، ولمخلوق لا يكون إلا بحالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين^(٥) وجود واجب بنفسه قديم أزلي^(٦) خالق غني عما سواه وما سواه بخلاف ذلك

س ٤٧ هل يتفق الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات من بعض الوجوه؟

ج: نعم، فالحواب الأنف يفصح عنه، ولكن من المعلوم أن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته.

إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع:

فأحدهما يجب قدمه، وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه.

وأحدهما خالق، والآخر ليس بخالق.

وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم:

أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب.

(١) هو الخالق.

(٢) هو المخلوق.

(٣) الانفصال هم البدل لا يحتمعان ولا يرتفعان في ان واحد، بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخر، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر.

(٤) يستعمل الشارح في سياق الرد على أهل الدع مصطلحاتهم التي يطقونها ويفهمونها، والأصل أن يرد على أهل الدع بالألفاظ الشرعية، لكن المقام هو مفسر ففهم وإفهام فيسوع هذا، لا سيما وأن كبار الأئمة ردوا عليهم بعثلها، كاس تيمية واس القسم وغيرهم.

موجوداً بنفسه غير موجود بنفسه.

خالقاً ليس بخالق، غنياً غير غني.

فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتفٍ بصريح العقل، كما هو منتفٍ بنصوص الشرع.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين، كان مشبهاً قائلاً للباطل. وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، والله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك. والعبد أيضاً مختص بوجوده وعلمه وقدرته والله تعالى منزّه عن مشاركة العبد في خصائصه.

س ٤٨ المطلق الكلبي^١ يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه ضل في هذا الأصل فربقان، ما أصل خطأهم ومن هم؟

ج: هذا موضع اضطرب فيه كثير من النظائر، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء، يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد.

وأصل الخطأ والغلط: توهمهم أن هذه الأشياء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلبي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك.

فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، لا يوجد إلا معيناً مختصاً. وهذه الأسماء إذا تسمى الله بها، كان مسماها معيناً مختصاً به.

فإذا سُمِّي بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الحالق!.

(١) المطلق الكلبي هو الذي لا يسمع تصور معناه من وقوع الشراكة فيه، فيجوز أن تدخل فيه أفراد كثيرة لفظ الوجود.

ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك فالمشار إليه واحد، لكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه ورادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحص الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.

س ٤٩ الفرقان السابقان، كل منهم أحسن وأساء بين ذلك

ج: النفاء: أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه.

وأساؤوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر.

والمشبهة: أحسنوا في إثبات الصفات.

وأساؤوا بزيادة التشبيه.

س ٥٠ ما منهج السلف في إثبات الصفات، ومنهج أهل الكلام فيها

ج: منهج السلف في إثبات الصفات، كما في كتاب الله تعالى، فيأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً.

على عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، فيقولون: ليس بجسم ولا شح، ولا جثة ولا صورة، ولا لحم ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، وليس بمحدود، ولا والد، ولا ولد، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار... إلخ

وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة.

وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزيال، ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف، وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى وأشرف وأحل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب.

س ٥١ ما معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما معتقد أهل البدع فيها؟

ج: أهل السنة والجماعة يشبّون لله تعالى ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تكليف ولا تعطيل ولا تمثيل، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله.

أما أهل البدع فينفون عنه صفاته ويعطلونها، وأغلب عقائدهم السلوب؛ ليس بكذا، ليس بكذا، وأما ما يشبّونه فهو قليل، وهو أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقئ من الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبته الصفات. وسيأتي مزيد بيان لهذه النقطة والتبنيه على فساد معتقدهم.

س ٥٢ قال الإمام الطحاوي "ولا شيء يعجزه" فهل هذا من النفي المذموم ولم؟

ج: ليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: "ولا شيء يعجزه" من النفي المذموم فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهُ لِيُعْجِرَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. فنه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة. وقد علم ببداهة العقول والعظم كمال قدرته وعلمه فانتفى العجز، لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

س ٥٣ الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال بين هذه العبارة في ضوء قول الطحاوي: "ولا إله غيره"؟

ج: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها كما تقدم ذكره، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا - والله أعلم - لما قال تعالى: ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. فأنثت أولاً ثم نفى، فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهاً واحداً، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

س ٥٤ ما تقدير الخبر في "لا إله إلا الله"؟ ولم أوردتها الشارح هنا.

ج: قال بعض النحويين: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله.

فاعترض عليهم صاحب "المنتخب" فقال: يكون ذلك نفيًا لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره، والإعراض عن هذا الإضمار أولى.

وأجاب المرسي في "ري الضمآن" فقال: هذا كلام من لا يعرف لغة العرب فإن "إله" في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم "لا" فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد.

وأما قوله: إذا لم يضمّر يكون نفيًا للماهية، فليس شيء، لأن نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود، فلا فرق بين "لا ماهية" و"لا وجود" وهذا مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة، فإنهم يشتون ماهية عارية عن الوجود.

وأوردتها الشارح هنا ليدفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، ويبدوا أنه من جهة المعتزلة.

س ٥٥ قال الإمام الطحاوي: "قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء"، ماذا

أراد من هذا القول؟

ج: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.

وقال رحمه الله: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء".

فقول الشيخ رحمه الله: قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر.

س ٥٦ لم كان ثبوت هذين الوصفين "الأول والآخر" مستقر في

الفطر؟

ج: لأن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً

للتسلسل^(١)، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات، والمعادن وحوادث الجو، كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم، لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥). يقول سبحانه: أخذوا من غير مُحدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟، ومعلوم أن الشيء المُحدث لا يوجد بنفسه.

س ٥٧ من الذي أدخل اسم "القديم" في أسمائه تعالى. وهل هو من أسمائه الحسنی؟.

ج: الذي أدخل "القديم" في أسمائه تعالى هم المتكلمون، وليس هو من الأسماء الحسنی، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره.

فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ (٣٩). والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد، قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّوْنَهُ هَدًىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. أي متقدم في الزمان.

وأما إدخال "القديم" في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ومنهم ابن حزم.

ويقال أيضاً: أن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنی التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على

(١) التسلسل مصطلح لأهل الكلام، وهو ترتيب أمور غير متناهية، وسمي بهذا أحدًا من السلسلة، وهي قابلة لزيادة الخلق إلى ما لا نهاية، وهو ثلاثة أنواع ممتنع وواجب وممكن.

الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنی، وجاء الشرع باسمه "الأول". وهو أحسن من "القديم" لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف "القديم" والله تعالى له الأسماء الحسنى، لا الحسنه.

س ٥٨ قال الإمام الطحاوي: " لا يفنى ولا يبید " بین معنى هذه العبارة؟.

ج: هذا إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَرَّةٍ عَلَيَّا فَإِنَّ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۖ﴾. والفناء والبيد متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضاً مقرر ومؤكد لقوله: " دائم بلا انتهاء ".

س ٥٩ لم أورد الطحاوي قوله " ولا يكون إلا ما يريد "؟.

ج: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ٦٠ لم سُميت القدرية بهذا الاسم؟

ج: سُمُوا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

س ٦١ ماذا قالت القدرية في القدر، وما معتقد أهل السنة فيه؟.

ج: يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاه، ولا يأمر بها، بل يبعضها ويسخطها ويكرهها ويهوى عنها، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله

لأفعلن كذا إن شاء الله، لم يحدث إذا لم يفعله، وإن كان واجباً أو مستحباً، ولو قال: .. إن أحب الله حدث، إذا كان واجباً أو مستحباً.

س ٦٢ ما أقسام الإرادة؟ ولم قسمها أهل السنة إلى قسمين؟

ج: المحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان.

١ - إرادة قدرية كونية خلقية (هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث).

٢ - وإرادة دينية أمرية شرعية (هي المتضمنة للمحبة والرضى)

وقسمها أهل السنة إلى هذين القسمين، ليفرقوا بين ما قدره الله تعالى أزلاً، وبين ما أمر به شرعاً، وأنه لا تلازم بين الإرادتين. كما قالت به القدرية والجبرية فضلوا في باب القدر.

س ٦٣ أورد بعض الأدلة لكل نوع من أنواع الإرادة؟

ج: الأدلة على الإرادة القدرية الكونية.

قال تعالى: ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَفْعَلُ شَيْءٌ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية.

فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

س ٦٤ اذكر نوعي الإرادة في مثل كلام الناس، وماذا يفيد؟

- ج: ١ - الإرادة الدينية الشرعية الأمرية: في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرصاه، ولا يأمر به.
- ٢ - الإرادة القدريّة الكونية: فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ويميد أن الفرق ثلث بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل.

فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة المعلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فإله تعالى إذا أمر العباد بأمر، فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به، وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله.

س ٦٥ هل الأمر مستلزم للإرادة؟ وضح إجابتك بضرب بعض الأمثلة؟

ج: تحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على السنة رسله عليهم السلام بما ينفعهم وبهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يحقق ذلك الفعل، ويحعله فاعلاً له، ومنهم من لم يرد أن يحقق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات غير جهة أمره للعبد على وجه البيان، لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة. وهو سبحانه إذا أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان، كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم.

بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعله أن يكون مصلحة للأمر إذا فعله هو، أو جعل المأمور فاعلاً له، فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟.

فإلواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريداً لنصحه، ومبيناً له ما ينفعه، وإن

كان مع ذلك لا يريد أن يعييه على ذلك الفعل، إذ ليس كل ما كان في مصلحة في أن أمر به غيري وأنصح به يكون مصلحة في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحة إرادة ما يضاده، فجهة أمره لغيره نصحاً غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين، فهو في حق الله أولى بالإمكان.

س ٦٦ القدريّة تنفي القدر وتضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمر، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالنصح والطلاقة، ونهيته المساند والمقاعد ونحو ذلك فبم يرد عليهم؟

ج: يقال لهم هذا على وجهين:

أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود إلى الأمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شركاءه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الأمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى، فإنه قد علم أن الله يشي به على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

فأما إذا قدر أن الأمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الأمر من فعل المأمور، كالنصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للأمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرّة على الأمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِرُونَ بِكَ يَفْقُتُوكَ فَأَخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ التَّصْحِيقِ﴾. فهذا مصلحة في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه، ومثل هذا كثير

وإذا قيل إن الله أمر العباد بما يصلحهم لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لا سيما وعند القدريّة لا يقدر أن يعين أحداً على ما به يصير فاعلاً، وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها، فلا يلزم إذا كان في نفس الأمر له حكمة في الأمر، أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه

على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر بأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك، فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

س ٦٧ هل يحيط أحد بحكمة الله في خلقه وأمره؟

ج: تفصيل حكمة الله في خلقه وأمره يعجز عن معرفتها عقول البشر، والقدرة دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه، ولم يشبوا حكمة تعود إليه.

س ٦٨ ما معنى قول الطحاوي: " لا تبلفه الأوهام، ولا تدركه الأفهام"؟

ج: قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

قال في الصحاح: توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهي إليه وهم، ولا يحيط به علم.

قيل: الوهم ما يرحى كونه، أي يظن أنه على صفة كذا

والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما يعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾.

س ٦٩ لم أورد الشيخ قوله: "ولا يشبه الأنام" وما معناها؟

ج: أوردته رداً على المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى، قال **عنه**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فمن كلام أبي حنيفة في الفقه الأكبر " لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه - ثم

قال بعد ذلك - وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا،
ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا " انتهى.

وقال نعيم بن حماد: من شبه الله شيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر
ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله
تشبيه.

س ٧٠ ما علامة الجهمية؟

(ج) قال خلق كثير من أئمة السلف: علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة
مشبهة.

فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات، إلا يسمي المشت
لها مشبهة، ومن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الرنادقة. (القرامطة
والفلاسفة) وقال: إن الله لا يقال له عالم ولا قادر، يرغم أن من سماه
بذلك، فهو مشبه، لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه.

ومن أثبت الاسم وقال. هو مجاز (كغالية الجهمية) يزعم أن من قل
إن الله عالم حقيقة، قادر حقيقة، فهو مشبه.

ومن أنكر الصفات وقال: إن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا محبة،
ولا إرادة قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، وإنه محسم، ولهذا كتب نفاة
الصفات من الجهمية والمعتزلة، والرافضة ونحوهم، كلها مشحوة بتسمية
مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة، ويقولون في كتبهم: إن من جملة المجسمة
قوماً يقال لهم: المالكية ينسبون إلى رجل يقال له مالك بن أنس، وقوماً
يقال لهم: الشافعية، ينسبون إلى رجل يقال له محمد بن إدريس! حتى
الذين يفسرون القرآن منهم كعبد الجبار والزمخشري، وغيرهما، يسمون كل
من أثبت شيئاً من الصفات وقال بالرؤية مشهاً وهذا الاستعمال قد غلب عند
المتأخرين من سائر الطوائف.

س ٧١ ما مقالة أهل السنة في نفي التشبيه؟

(ج) المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين: أنهم لا
يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات، بل

مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فنفي المثل وأثبت الوصف.

س ٧٢ هل يجوز الاستدلال في العلم الإلهي بقياس تمثيل^(١) يستوي في الأصل والفرع، أو بقياس شمولي^(٢) يستوي فيه أفراده؟

ج: العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل، يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده.

فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها، ولهذا سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي والحيرة والاضطراب، لما يرون من فساد أدلتهم أو تكافئها.

س ٧٣ ماذا يستعمل في حق الله من الأقيسة، مع التمثيل والتوضيح؟

ج: يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، - وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه - فالواجب القديم أولى به.

وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق المربوب

(١) قياس التمثيل: إلحاق فرع بأصل لعدة جامعة بين الأصل والفرع، فهو مبني على التسوية بين الأصل والفرع، ويريد به أهل الفلسفة: جعل الله أصلاً تقس عليه المخلوقات، أو العكس، وهذا قياس فاسد ويحرم استعماله في حق الرب تعالى، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(٢) قياس الشمول: الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة إدراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلّي. وحكمه كسابقه. فيحرم استخدامه في حق الرب تعالى، وبما يستلزم انقياس الأوسى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

المدير، فإنما استفاده من خالقه وربّه ومديره، فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمنه سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى.

س ٧٤ ما معنى الأنام، ولم اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام؟

ج: نفى مشابهة شيء من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام. والآنم: الناس.

وقيل: الخلق كلهم.

وقيل: كل ذي روح.

وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾. يشهد للأول أكثر من الباقي. والله أعلم.

س ٧٥ استدل من كتاب الله تعالى على صفتي الحياة والقبومية، ولم أوردهما الشيخ رحمه الله في هذا الموضع؟

ج: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. فنفي السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. وقال ﷺ: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" الحديث.

وأوردهما الشيخ هنا، لأنه لما نفى رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون.

ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه، ليس المراد منه نفي

الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته.

س ٧٦ قال الشارح رحمه الله فعلى هذين الاسمين (الحي القيوم) مدار الأسماء الحسنى كلها، وضع ذلك؟.

ج: نعم، لأن اقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها ودوامها وانتفاء النقص عنه أزلاً وأبداً، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. أعظم آية في القرآن كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ.

فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم، فهو المتضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.

س ٧٧ قال الطحاوي رحمه الله "خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة" ماذا فيها من الصفات؟ وما معنى مؤنة؟.

ج: فيها صفتا الخلق والرزق، والأدلة عليها كثيرة جداً من الكتاب والسنة وقوله: بلا مؤنة: أي بلا ثقل ولا كلفة.

س ٧٨ قال الإمام الطحاوي "مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة" هل الموت صفة وجودية أم عدمية؟ ومن خالف في ذلك، وما دليلك؟

ج: الموت صفة وجودية، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَسْأَلُكُمْ أَتُكْفَرُ بِهِ أَمْ لَا تَكْفُرُونَ﴾. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث أنه: "يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار" وهو وإن كان غرضاً^(١) فالله تعالى يقبله عيناً كما ورد في

(١) الغرض: انظر تعريفه، ص ١٤

العمل الصالح: " أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة ". وورد في القرآن. " أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون " الحديث. أي. قراءة القارئ، وورد في الأعمال: " أنها توضع في الميزان " والأعيان هي التي تقل الورد دون الأعراض.

وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة. " يظلال صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ". وفي الصحيحين " أن أعمال العباد تصعد إلى السماء "

س ٧٩ قال الطحاوي: " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً " وضع هذا المعنى بزيادة بيان؟

ج: أي أن الله سبحانه وتعالى لم يرل متصفاً بصفات الكمال:

صفات الذات.

وصفات الفعل.

ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقداه صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، ولا يرد على هذا صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والطبي، والاستواء، والإتيان، والمجيء والسرور، والغضب، والرصاص، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كما لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله.

ولا بدخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصله معلوم لنا كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء، كيف استوى؟.

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وإن كانت هذه الحوادث تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: " إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله " لأن الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن.

س ٨٠) أهل علم الكلام ينفون حلول الحوادث بالرب تعالى فما حكم ذلك عند أهل السنة والجماعة (الألفاظ المعجمة)؟

ج: حلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل.

س ٨١) أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، ما مرادهم من ذلك؟

ج: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيسلم السني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفي عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله؛ فإذا سلم له هذا النفي، ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل وهو لازم له، وبما أتى السني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل، لم ينقطع معه.

وكذا مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل، وكذلك لفظ "الغير" فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقه له.

س ٨٢) هل يجوز إطلاق لفظ "الغير" على صفات الله وكلامه؟

ج: أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أن غيره، ولا أنه ليس غيره، لأر إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأن هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال. فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل.

إن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات

التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة؛ فهذا حق. ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الدهن ذاتاً وصفة، كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال.

س ٨٣ يقول بعضهم الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. أو يقول الصفات عين الذات، أو صفات الله غير الله، فصل القول الصحيح في ذلك؟.

ج: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. وهذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الدهن مجردة بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد. والتحقيق أن يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات، وبين قوله: صفات الله غير الله، فإن الثاني باطل، لأن مسمى الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات، فإنه لا يدخل فيه الصفات، لأن المراد أن الصفات زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، ولهذا قال الشيخ رحمه الله: "ما زال بصفاته" ولم يقل: ما زال وصفاته، لأن العطف يؤذن بالمعايرة، وكذلك قال الإمام أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية، لا نقول: الله وعلمه الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

س ٨٤ هل تنفصل الصفات عن الذات بوجه من الوجوه؟ مع الاستدلال؟.

ج: لا يتصور انفصال الصفات عن الذات بوجه من الوجوه، وإذ كان الدهن قد يفرض ذاتاً مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال، وقد قال عليه السلام: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" وقال عليه السلام: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" ولا يعوذ عليه السلام بغير الله. وكذا قال عليه السلام: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك".

وقال ﷺ: "ويعوذ بك أن نغتنال من تحتنا"، وقال ﷺ: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات".

س ٨٥ هل الاسم عين المسمى أم غيره؟

ج: قولهم: هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ غلط كثير من الناس في ذلك، وجعلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم هنا للمسمى. ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق.

وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى.

س ٨٦ لم أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع

ج: أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؛ لأن الكلام كان في الصفات وإثباتها والرد على من أنكرها، والألفاظ المجملة وحكمها، ثم ذكر الشيخ أن من الألفاظ المجملة؛ هل صفات الله وكلامه هي ذاته أم لا، وبين أن أئمة السنة لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره، وذكر أن لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل. ثم ذكر الشيخ أن الذات لا يتصور أن تنفصل عن الصفات بوجه من الوجوه، وذكر الأدلة على ذلك. ناسب أن يذكر في هذا المقام الاسماء بعد ذكر الصفات، وهل الاسم عين المسمى أو غيره، وبين أن لفظة "غيره" من الألفاظ المجملة ثم فصل القول فيها.

س ٨٧ قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه... لم أورد هذا القول؟"

﴿ج﴾ أورد هذا القول في الرد على المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، وأنه انقلب من الامتناع الداتي إلى الإمكان الذاتي!، وعلي بن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه. وأما الكلام عندهم، فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته.

﴿س ٨٨﴾ قالت الجهمية بامتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، فما أهمية هذا القول لديهم، ولم قالوا به، وكيف ترد عليهم قولهم؟

﴿ج﴾ هذا القول من أصول أهل الكلام المذموم، وقالوا به ليقوا صغرات الله تعالى الداتية والفعلية وكلامه، ولينفوا بقاء وأبدية الجنة والنار.

قال الشارح: وأصل هذا الكلام من الجهمية، فإنهم قالوا: إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مدأ، لامتناع حوادث لا أول لها، فيمتنع أن يكون الباري ﷻ لم يرل فاعلاً متكلماً بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك؛ لأن القدرة على الممتنع ممتنعة!

وهذا فاسد، فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث، والحوادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً، فلا بد أن يكون ممكناً، والإمكان لبس له وقت محدود، وما من وقت يُقَدَّرُ إلا والإمكان ثابت فيه، فليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه.

فَيَلْزَمُ أنه لم يزل الرب قادراً عليهم.

فَيَلْزَمُ جواز حوادث لا نهاية لها.

قالت الجهمية ومن وافقهم: نحن لا نسلم أن إمكان الحوادث لا بداية له، لكن نقول: إمكان الحوادث بشرط كونه مسبوقة بالعدم لا بداية له، وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع، بل يجب حدوث نوعها، ويمتنع قدم نوعها، لكن لا يجب الحدوث في وقت بعينه، فإمكان الحوادث بشرط كونه مسبوقة بالعدم لا بداية له، بخلاف جنس الحوادث.

فيقال لهم. هب أنكم تقولون ذلك، لكن يقال. إمكان جنس الحوادث عندكم له بداية، فإنه صار جنس الحوادث عندكم ممكناً بعد أن لم يكن ممكناً، وليس لهذا الإمكان وقت معين، بل ما من وقت يُفرض إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم دوام الإمكان وإلا لزم انقلاب الحس من الامتناع إلى الإمكان، من غير حدوث شيء، ومعلوم أن انقلاب حقيقة جنس الحوادث، أو جنس الحوادث، أو جنس الفعل أو جنس الأحداث، أو ما أشبه ذلك من العبارات من الامتناع إلى الإمكان، هو يُصير ذلك ممكناً جائزاً بعد أن كان ممتنعاً من غير سبب تجدد، وهذا ممتنع في صريح العقل

فالحاصل أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟.

س ٨٩ ما أقوال أهل النظر في إمكانية دوام نوع الحوادث؟

ج: في هذا ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

أضعفها: قول من يقول. لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهنم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف.

وثانيها: قول من يقول. يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

وثالثها: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث^(١)، وهي من المسائل الكبار، ولم يقل أحد: يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق، كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأنساعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

(١) هذا هو القول الحق الذي دلت عليه الدلائل الشرعية - من الكتاب والسنة - والعقيدة وإجماع سلف الأمة عليه.

س ٩٠ هل يمنع (تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسلها في المستقبل) أن يكون الرب سبحانه هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، مع الاستدلال لما تقول؟.

ج: من المعلوم أن كون المفعول مقارناً لفاعله - لم يزل ولا يزال معه - ممتنع محال، ولما كان تسلسل^(١) الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء، ويتكلم إذا يشاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْحَرُّ مَدَدًا لَكُنْتِ رَبِّي لَوَدَّ الْحَرُّ قُلْ أَنْ نَعْدَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾. والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود وحينئذ فإذا كان النوع دائماً، فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لا يكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه. وأما دوام الفعل، فهو أيضاً من الكمال، فإن الفعل إذا كان صفة كمال فدوامه دوام الكمال.

س ٩١ ما حكم لفظ التسلسل عند أهل السنة والجماعة؟ وما أقسامه؟

ج: لفظ التسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى أقسام ثلاثة: واجب، وممتنع، وممكن.

س ٩٢ هل لك أن تبين أنواع التسلسل بأمثلة توضيحية؟.

ج: ١ - التسلسل الممتنع (مثاله): كالتسلسل في المؤثرين، فهو محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون، كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية.

(١) انظر تعريف التسلسل ص ٤٠

٢ - التسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاذ له .

٣ - التسلسل الممكن: كالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً - وذلك من لوازم ذاته - فالفعل ممكن له بوجود هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل .

س ٩٣ هل التسلسل في أفعاله تعالى من طرف الأزل، من الواجب أم الممتنع أم الممكن؟.

ج: التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت بالفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا تعالى في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل .

س ٩٤ هل يلزم من التسلسل الممكن في مفعولاته، أن يكون الخلق لم يزلوا معه أزلاً وأبداً؟.

ج: لا يلزم من التسلسل في مفعولاته أنه لم يرل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فلكل مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق، كائن بعد أن لم يكن .

وكل قول سوى هذا، فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه .

س ٩٥ كل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما ما هما . وعلام يدل ذلك؟.

ج: يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما:

١ - إما أن يقول: بأن الفعل لم يزل ممكناً.

٢ - وإما أن يقول: لم يزل واقعاً.

والا تناقض تناقضاً بيناً، حيث رعم أن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرص إرادته عنده محال وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضاً.

ويدل ذلك على أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن.

أما كون الرب تعالى لم يزل معطلاً عن الفعل، ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبت، بل كلاهما يدل على نقيضه.

س ٩٦) **أورد أبو المعالي الجويني في "إرشاده" وغيره من النظار على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيتك درهماً إلا أعطيتك بعده درهماً كان هذا ممكناً، ولو قلت: لا أعطيت درهماً حتى أعطيت قبله درهماً، كان هذا ممتنعاً، فكيف برد عليهم قولهم؟**

ج: هذا التمثيل والموازنة غير صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول: ما أعطيتك درهماً إلا أعطيتك قبله درهماً، فتجعل ماضياً قبل ماضٍ، كما جعلت هناك مستقبلاً بعد مستقبل.

وأما قول القائل: لا أعطيتك حتى أعطيت قبله فهو نفي للمستقبل، حتى يحصل في المستقبل، ويكون قبله، فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع، أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماضٍ، فإن هذا ممكن، والعطاء المستقبل ابتداءً من المعطي. والمستقبل الذي له ابتداء وانتهاء لا يكون قبله ما لا نهاية له، فإن ما لا نهاية له فيما يتناهى ممتنع.

س ٩٧) **هل الإمام الطحاوي يقول بتسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل أم لا يقول به؟**

ج: ظاهر كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه يمنع تسلسل الحوادث في

الماضي. ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل وهو قوله: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان" وهذا مذهب الجمهور، ولا شك في فساد قول من مع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه.

س ٩٨ ما أظهر في الصحة، قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها أم قول من فرق بينهما (أي أفر بأحدهما ونفى الآخر)؟.

ج: قال الشارح: وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، فأظهر في الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يرل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلاً لما يريد، كما وصف بذلك نفسه حيث يقول: ﴿دُوَّ الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

س ٩٩ دلت الآية الانفة الذكر وهي قوله تعالى ﴿دُوَّ الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ على أمور عدة، اذكرها؟

ج: أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيته.

الثاني: أنه لم يرل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يحور أن يكون عادماً لذلك الكمال في وقت من الأوقات وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ولما كان من أوصاف كماله وبعوت حلاله، لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة، أي يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله. وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر؛ فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه عليه ويجعله فاعلاً لم يوحد الفعل، وإن أراد حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلاً.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراد به بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام، ويفعل ما يريد.

س ١٠٠ القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه لوازم، بينها واذكر القول الصحيح في ذلك؟.

ج: القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله تعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلاً.

ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.

س ١٠١ ما أقوال الناس في هذا العالم؟

ج: للناس قولان في هذا العالم: هل هو مخلوق من مادة أم لا؟.

س ١٠٢ ما أول هذا العالم؟.

ج: اختلفوا في أول هذا العالم ما هو؟ وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَقَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لتتفق في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: "كان الله ولم يكن شئ قبله"، وفي رواية: "ولم يكن شئ معه"، وفي رواية: "غيره"، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض".

س ١٠٣ ما معنى قوله ﷻ "وكتب في الذكر كل شيء"؟

ج: قوله ﷻ: "كتب في الذكر" يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. سُمي ما يُكتب في الذكر ذكراً، كما يسمى في الكتاب كتاباً.

س ١٠٤) انقسم الناس في فهم هذا الحديث الآنف. "كان الله ولم يكن شيء قبله" إلى قسمين، اذكرهما؟.

ج: الناس في هذا الحديث على قولين:

١ - منهم من قال: إن المقصود إخباره بأن الله كان موجوداً وحده، ولم يزل كذلك دائماً، ثم ابتدأ إحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسوقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان، وأن الله صار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً من الأزل إلى حين ابتداء الفعل ولا كان الفعل ممكناً.

٢ - القول الثاني: المراد إخباره عن مبدأ هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام، ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء" فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حيثيذ على الماء.

س ١٠٥) أي القولين السابقين هو الراجح، ولم؟

ج: القول الثاني هو الصحيح منهما، للوجوه التالية:

١ - أحدهما: أن قول أهل اليمن. جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر، وهو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور، أي: الذي كونه الله بأمره، وقد أجابه النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش. وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض.

٢ - أيضاً: فإنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله" وقد روي "معه" روي "غيره" والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ، والآخرون روي بالمعنى، ولفظ "القبيل" ثبت عنه في غير هذا الحديث.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" الحديث. واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القبل كالحميدي والبخاري وابن الأثير، وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

٣ - وأيضاً: فإنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معهُ" أو "غيره"، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء". فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو، "وخلق السماوات والأرض" زوي بالواو وشم، فظهر أن مقصوده إخباره إياهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك، وذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقهما وذكر ما قبلهما بما يدل على كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه له.

٤ - وأيضاً فإنه إذا كان الحديث قد ورد بهذا وهذا، فلا يجزم بأحدهما إلا بدليل، فإذا رجح أحدهما، فمن جزم بأن الرسول أراد المعنى الآخر، فهو محطى قطعاً، ولم يأت في الكتاب ولا في السنة ما يدل على المعنى الآخر، فلا يجوز إثباته بما يظن أنه معنى الحديث ولم يرد. "كان الله ولا شيء معه" مجرداً، وإنما ورد على السياق المذكور، فلا يظن أن معناه. الإخبار بتعطيل الرب تعالى دائماً عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض.

٥ - وأيضاً فقلوه صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معهُ" أو "غيره". "وكان عرشه على الماء" لا يصح أن يكون المعنى أنه تعالى موجود وحده لا مخلوق معه أصلاً، لأن قوله: "وكان عرشه على الماء" يرد ذلك، فإن هذه الجملة وهي: "وكان عرشه على الماء" إمّا حالية، أو معطوفة، وعلى كلا التقديرين، فهو مخلوق موحود في ذلك الوقت، فغلب أن المراد: ولم يكن شيء من هذا العالم المشهود.

س ١٠٦ قال الإمام الطحاوي "له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق"، فما معنى كلامه برحمة الله؟

(ج:) يعني أن الله تعالى موصوف بأنه "الرب" قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه "خالق" قبل أن يوجد مخلوق.

قال بعض المشيخ الشارحين: وإنما قال: "له معنى الربوبية ومعنى الخالق" دون الحالقية، لأن الخالق هو المخرج للشيء من العدم إلى الوجود لا غير، والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي الملك والحفظ والتدبير والتربية، وهي تبليغ الشيء كماله بالتدرج، فلا جرم أن يأتي بلفظ يشمل هذه المعاني، وهو الربوبية. انتهى.

وفيه نظر، لأن الخلق يكون بمعنى التقدير أيضاً.

(س ١٠٧) اشرح قول الطحاوي: "وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحياء، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم"؟

(ج:) يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزاماً للمعتزلة ومن قال بقولهم، كما حكينا عنهم فيما تقدم، وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء.

(س ١٠٨) إلى ماذا أشار الشيخ بقوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير"؟

(ج:) ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه، والكلام على كل وشمولها، وشمول كل في كل مقام بحسب ما يحتف بها من قرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله تعالى.

(س ١٠٩) ما معتقد المعتزلة في قدرة الله تعالى؟ وبم يرد عليهم؟ وما معتقد أهل السنة في ذلك؟

(ج:) حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فقالوا: إنه قادر على ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد، فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا: هل يقدر على مثلها أم لا؟ ولو كان المعنى على ما قالوا، لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق

لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء.

وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكلّ ممكن، فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته، مثل: (كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً في حال واحدة)، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مثل نفسه، وإعدام نفسه، وأمثال ذلك من المحال.

وهذا الأصل، هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

س ١١٠ هل المعدوم الممكن له وجود في الخارج؟ وهل في قدرة الرب تعالى أن يكتبه ويعلمه ويذكره وهو كذلك؟

ج: تنازع الناس في المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا؟.

والتحقيق: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَزْقَهُ أَلْسَاعَةٌ شَوْءٌ عَظِيمٌ﴾ فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَزْقَهُ أَلْسَاعَةٌ شَوْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لم تكن شيئاً في الخارج، وإن كان شيئاً في علمه تعالى، وقال تعالى: ﴿هَذَا أَقْنَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ لَمْ يَدْهَرْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾.

س ١١١ لم أورد الشيخ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في الموضع الأنف بعد قوله "ذلك بأنه على كل شيء قدير...؟".

ج: أورد هذه الآية رداً على المشبهة والمعطلة فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب

وبصره. ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيهه، إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به.

س ١١٢ ما حكم من نفى عن الله ما وصف به نفسه؟ أو من شبه الله تعالى بخلقه؟.

ج: قال الشارح: ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به أعرف الخلق بربه، وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمتهم وأنصحهم وأقدرهم على البيان فإياك إن نفيت شيئاً من ذلك، كنت كافراً بما أنزل على محمد ﷺ. وإذا وصفته بما وصف به نفسه، فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به. قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً".

س ١١٣ اشرح قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِثْلُ النُّوَّةِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وهل من نفى عن الله صفاته وسلبها قد جعل له مثل السوء؟ وضع ذلك.

ج: وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. فجعل سبحانه مثل السوء - المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال - لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى - المتضمن لإثبات الكمال كله - لله وحده، فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى، فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب تعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافأ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من

الآخر، وإن لم يتكافأ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لـ
له المثل الأعلى مثل أو نظير.

س ١١٤ دارت عبارات السلف في المراد بالمثل الأعلى، على معان عدة
اذكرها؟.

ج: اختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى، ووفق بين قولهم بعض
من وفقه الله وهده، فقال: المثل الأعلى يتضمن:

الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والحبر عنها،
وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه
وذاكره.

فها هنا أربعة أمور:

الأول: ثبوت الصفة العليا لله سبحانه، سواء علمها العباد أو لا، وهذا
معنى من فسرهما بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من
السلف والخلف: إنه في قلوب عابديه وذاكره.

الثالث: ذكر صفاته والحبر عنها، وتزويدها من العيوب والنقائص.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة
إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

س ١١٥ أورد الشيخ الشارح مثلبين لمن ابتدع ونفى الصفات، كيف
أوصلتهم بدعتهم إلى الأمر بتحريف القرآن، اذكرهما؟

ج: قال الشارح رحمه الله: فمن أصل ممن يعارض بين قول تعالى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية، وهو قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، حتى أفضى هذا الضلال بعضهم - وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي -
إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثل شيء وهو
العزیز الحکیم، حرف كلام الله لينفي وصفه تعالى بأنه السميع البصير.

كما قال الضال الآخر بهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بمنه وكرمه.

س ١١٦ ما إعراب "كمثله" في الآية الآتفة الذكر؟

ج: في إعراب "كمثله" وجوه:

أحدها: أن الكاف صلة زیدت للتأكيد، فيكون "مثله" خبر "ليس" واسمها "شيء".

الثاني: أن الزائد "مثل" أي. ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم. مثلك لا يفعل كذا، أي. أنت لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا: أي: ليس لمثله مثل لو فرض المثل، فكيف ولا مثل له. وقيل غير ذلك والأول أولى.

س ١١٧ اشرح قول الطحاوي رحمه الله "خلق الخلق بعلمه"؟

ج: خلق: أي أوجد وأنشأ وأبدع، ويأتي "خلق" أيضاً بمعنى: قدر.

والخلق مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق، وقوله. "بعلمه" في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا جَلْدٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وهو الذي يَتَوَنَّنُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ، وفي ذلك رد على المعتزلة.

س ١١٨ ما قول المعتزلة في علم الله، والآيات التي تثبت؟

ج: تنفي المعتزلة علم الله تعالى، وتحرف الآيات التي تثبت الصفات، فيقولون: لا يجهل! فهل هذا إثبات؟، ولا يعترفون أنه تعالى عالم بعلم.

قال الإمام عبد العزيز المكي، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليله، في كتاب "الحيدة" الذي حكى فيه مناظرته بشراً المريسي عند

المأمون حين سألته عن علمه تعالى: فقال بشر: أقول لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريراً له وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف أنه عالم بعلم، فقال الإمام عبد العزيز: نفى الجهل لا يكون صفة مدح، فإن قولني. هذه الاسطوانة لا تجهل، ليس هو إثبات العلم لها، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم، لا بنفي الجهل. فمن أثبت العلم. فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل، لم يثبت العلم، وعلى الخلق أن يشتوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه، ويفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه.

س ١١٩ الآيات الدالة على علم الله تعالى كثيرة، فهل لك بذكر دليل عقلي على علمه تعالى؟.

ج: الدليل العقلي على علمه تعالى:

« أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاد الأشياء بإردته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم. » ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم. » ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً.

س ١٢٠ ذكر الشارح يرحمه الله في الدليل العقلي على علم الله: أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً، وذكر طريقان لهذا الدليل العقلي، ما هما؟

ج: أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل فلو لم يكن الخالق عالماً، لزم أن يكون الممكن (المخلوق) أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه، بل هو أحق به، والله

تعالى له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوقات لا في قياس تمثيل^(١)،
ولا في قياس شمول^(٢)، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق أحق
به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى.



(١) سبق التعريف به، ص ٤٧.

(٢) سبق التعريف به، ص ٤٧.

الفصل الثالث

القدر

القدر

س ١٢١ هات أدلة من الكتاب والسنة على القدر؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء".

س ١٢٢ هل الآجال مقدرة مضروبة، مع الاستدلال لما تقول؟

ج: نعم هي كذلك، قال الطحاوي رحمه الله، "وصرب لهم آجالاً".

يعني أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأٌ مُّوجِلًا﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: "قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال. فقال النبي ﷺ: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة،

وأرزاق مقسومة، لن يُعجل شيئاً قبل حله، ولن يؤخر شيء عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان حيراً وأفضل".

س ١٢٣ ما قول المعتزلة في الآجال وأسبابها؟

ج: من المعلوم أن لكل أجل سبب، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بالحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

وعند المعتزلة. المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل، لعاش إلى أجله، فكان له أحلان، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن يسبب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبته، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص، والضمان على القاتل. لارتكابه المنهي عنه، ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرج قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر" أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعيش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٤ ما معنى قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر"؟

ج: أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعيش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٥ هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟

ج: ذلك غير لازم، لقوله ﷺ: "لأُم حبيبة رضي الله عنها: "قد سألت الله

تعالى لآجالٍ مضروبة " الحديث، كما تقدم.

فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغييرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي، شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما كنت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي" إلى آخر الدعاء.

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه".

س ١٢٦ يظن بعض الناس أن النذر سبب في دفع البلاء، بم يرد عليهم؟

ج: يرد عليهم بالحديث الآنف الذكر "لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" وفيه رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: "إنه لا يأتي بحير، وإسما يستخرج به من البخيل".

س ١٢٧ لمن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ عُمْرِهِ مِمَّنْ مُقَمَّرٌ وَلَا يُفْضَرُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ؟﴾.

ج: قيل الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ عُمْرِهِ﴾ إنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه، أي ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر.

وقيل الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة.

س ١٢٨ علام حمل قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَحَدٍ كِتَابٌ﴾ ﴿بِمَحْوٍ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعَدَهُ. أَمْ أَتَكْتَبُ﴾.

ج: ١ - حملت هذه الآية، على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي

الملائكة، وأن قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)، اللوح المحفوظ، ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي من ذلك الكتاب، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) أي. أصله، وهو اللوح المحفوظ.

٢ - وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه، ويثبت ما يشاء، فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، فأخبر أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشرعة الأخرى، فيسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء.

وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.

س ١٢٩ قال الطحاوي: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم" ما معنى قوله هذا؟.

ج: أي أنه يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨)، وإن كان يعلم أنهم لا يُرَدُّون، ولكن أخبر أنهم لو رُدُّوا، لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٣).

س ١٣٠ لم أورد الطحاوي قوله الآنف. "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم"؟.

ج: لأن في ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ١٣١ لم ذكر الشيخ الأمر والنهي في قوله: "وأمرهم بطاعته..". بعد ذكره الخلق والقدر؟.

ج: ذكر الشيخ رحمه الله الأمر والنهي، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١).

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ خَلْقَ الْمَوْتِ وَالْحَيَوَةِ لِيَتْلُوَكُمْ أَتُكْرَهُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

س ١٣٢ قال الإمام الطحاوي: " وكل شيء يجري بتقديره ومشيبته، ومشيبته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن " اشرح قوله مع الاستدلال؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠). وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَهُهُمْ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَفَّى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكيف يكون في ملكه ما لا يشاؤه! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٣٣ إن قيل بشكل على ما ذكرت أنفاً أنه ما لم يشأ الله لم يكن، وما شاءه كان واستدللت عليه، باحتجاج أهل الشرك بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءُنَا﴾ وبقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَدَدْنَاهُمْ﴾. وقد ذمهم الله على أن جعلوا الشرك كائناً بمشيئة الله، فبم تجيب على هذا الإشكال؟.

ج: أجيب على هذا بأجوبة من أحسنها:

* أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبه،

وقالوا: لو كره ذلك وسخطه، لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك.

✽ أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

✽ أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه، وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر

وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال. وأما أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى في الآية ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يقدره؟ أطلع الغيب؟!

س ١٣٤ إن احتج محتج على شركه أو معاصيه بالقدر، وقال قد احتج آدم على موسى بالقدر، فغلبه بالحجة، فأنا كادم لما احتج بالقدر، أحتج به؟.

ج: يقال له. الحديث صحيح يتلقاه القول والطاعة، لا بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرة، ولا بالتأويلات الباردة.

بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الدنب، وهو كان أعلم بربه وذننه، بل أحاد نبيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبنبيه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه، وتاب الله عليه، واحتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعايير.

س ١٣٥ قال إبليس محتجاً على ربه ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَوَيْتُ﴾ واحتج بالقدر، بأن الله تعالى أغواه، فما الجواب؟.

ج: الله تعالى ذم إبليس على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالقدر، وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ

لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُجْعُونَ ﴿٣٤﴾ ، وإبليس لم يحتج بالقدر لإيمانه به، وإنما لدفع الأوامر الشرعية به، ولقد أحسن القائل: فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر، أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه.

س ١٣٦ لم أورد الطحاوي قوله. "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً؟"

ج: أوردته رداً على المعتزلة الذين يقولون بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال.

س ١٣٧ ما قول المعتزلة في مسألة الهدى والضلال، وعلى ما بنوا هذا؟

ج: قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال، عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد. أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

س ١٣٨ ما قول أهل السنة والجماعة في مسألة الهدى والضلال، مع الاستدلال؟

ج: تقدم قولهم آنفاً، وهو أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ولو كان الهدى بيان الطريق، لما صح هذا اللفظ عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾.

وقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وقوله: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

س ١٣٩ ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله"؟.

ج: هم كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِسْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، فمن هداه الله إلى الإيمان، فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعده، وله الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى، فإن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في القدر في مكان واحد، بل فرقه فأثبت به على ترتيبه.

س ١٤٠ قال الطحاوي: "وهو متعال عن الأضداد والأنداد"، ما معنى الأضداد والأنداد؟.

ج: الضد: المخالف.

والند: المثل.

فهو سبحانه لا معارض له، بل هو كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

س ١٤١ لم أشار الشيخ بقوله: "وهو متعال عن الأضداد والأنداد"؟

ج: يشير الشيخ رحمه الله بنفي الضد والند، إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

س ١٤٢ اشرح قول الطحاوي يرحمه الله: "لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره"؟.

ج: أي لا يرد قضاء الله رادًا.

ولا يعقب، أي: لا يؤخر حكمه مؤخر.

ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار.

س ١٤٣ ما معنى قول الطحاوي: "وأيقنا أن كلاً من عنده"؟.

ج: الإيقان: الاستقرار، من يقن الماء في الحوض: إذا استقر، والتنوين في "كلًا" بدل الإضافة، أي: كل كائن محدث من عند الله، أي: بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه. وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول

س ١٤٤ علام غطف قول الإمام الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي.. ؟"

ج: قوله: " وإن محمداً" بكسر الهمزة عطفاً على قوله. " إن الله واحد لا شريك له "لأن الكل معمول القول، أعني: قوله. "نقول في توحيد الله".

س ١٤٥ بين فضل العبودية جملةً وفضلها لعبد الله محمد بن عبد الله ﷺ في ضوء قول الطحاوي " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي.. ؟"

ج: اعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوحه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عَسَاءُ مُكْرِمُونَ﴾ (٢١)، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله بنيه باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَكَّأْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول

المسيح ﷺ يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام. "أذهبوا إلى محمد، عبد عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

س ١٤٦ ما الطريقة المشهورة عند أهل الكلام في تقرير نبوة الأنبياء؟

ج: الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر هي تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

س ١٤٧ بم تعرف نبوة الأنبياء؟

ج: تعرف نبوة الأنبياء بالمعجزات وبدلائل عقلية أخرى كثيرة، وبقرائن أحواله وأفعاله.

س ١٤٨ عل لك بذكر بعض الدلائل والقرائن التي يعرف بها الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟

ج: لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مبينة

كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده.

بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب، لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عن الله كذاباً".

ولهذا قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَرِّ تَرْتُلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٢٢١) تَرْتُلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيرٌ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾.

فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من المغيبات ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء. ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: "قد خأت لك خبيثاً" وقال: الدخ قال له النبي ﷺ: "أخساً فلن تعدو قدرك". يعني إنما أنت كاهن. وقد قال للنبي ﷺ: يأتيني صادق وكاذب. وقال: أرى عرشاً على الماء، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاؤون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقينياً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميرون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، أو علم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

(س ١٤٩) قال الشارح رحمه الله. "ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقتزن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري" وضع هذا المعنى؟.

(ج) النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي

أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشبه الصادق فيها بالكاذب؟!.

ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترون به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وجهه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمر تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَتَعْرِفَنَّهُمْ بِبَيِّنَاتٍ﴾، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.

وقد قيل: ما أسر الإنسان سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترون به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله؟! كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!.

س ١٥٠) عدد أربعة من (الأدلة العقلية) على صدق الرسول ﷺ وما احتف برسائله من قرائن تدل على صدقه؟.

ج: ١ - قصته ﷺ مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، لما كانت تعلم من صدق النبي ﷺ أنه الصادق المار، قال لها لما جاءه الوحي. "إني خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".

٢ - وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يُحبر به، واستقرأهم القرآن فقرأوه عليه: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".

٣ - وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، كان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة. "أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال: هذا هو الناموس^(١) الذي كان يأتي موسى".

(١) الناموس: صاحب السر، والمراد به جبريل عليه السلام.

٤ - وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقيين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار:

١ - سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟

فقالوا: لا.

٢ - قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟

فقالوا: لا.

٣ - وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟

فقالوا: نعم.

٤ - وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

فقالوا: ما جرينا عليه كذباً.

٥ - وسألهم: هل اتبعه ضعاف الناس أم أشرافهم؟

فذكروا أن الضعفاء اتبعوه.

٦ - وسألهم: هل يزيدون أم يتقصون؟

فذكروا أنهم يزيدون.

٧ - وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطاً له بعد أن يدخل

فيه؟

فقالوا: لا.

٨ - وسألهم: هل قاتلتموه؟

قالوا: نعم.

٩ - وسألهم: عن الحرب بينهم وبينه.

فقالوا: يُدَالُّ علينا مرة، ونُدَالُّ عليه أخرى.

١٠ - وسألهم: هل يَغْدِر؟

فذكروا أنه لا يغدر.

١١ - وسألهم: بماذا يأمركم؟.

فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، ونيهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.
وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال:

١ - سألتكم: هل كان في آباءه من ملك؟ فقلتم: لا.

قلت: لو كان في آباءه ملك، لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

٢ - وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحدٌ قبله؟ فقلتم: لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحدٌ قبله، لقلت: رجل اتهم بقول قيل قبله.

٣ - وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم:

لا.

فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب.

فيكذب على الله.

٤ - وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم.

وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم.

٥ - ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: يزيدون.

وكذلك الإيمان حتى يتم.

٦ - وسألتكم: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه سخطاً له بعد أن يدخل

فيه؟ فقلتم: لا.

وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن

ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

٧ - وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول.

وكذلك الرسل تبلى، وتكون العاقبة لها.

٨ - قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا.

وكذلك الرسل لا تغدر.

وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم، أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم، وأنهم لا يغدرون، علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

٩ - قال: وسألتكم: عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ويأمركم بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي.

وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك، لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوة للنبي ﷺ.

قال أبو سفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره.

(س ١٥١) في استدلال الناس على نبوة الأنبياء بقرائن أحوالهم وأفعالهم، ما يفيد أن ذلك يزيد بتظافر الأدلة، وضع ذلك؟.

(ج:) نعم، فما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم بأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب، ونحو ذلك.

س ١٥٢ مما يؤيد صدق الأنبياء أن الله أبقى بعض الآثار الدالة على صدقهم، اذكر بعض هذه الآثار؟.

ج: نعم، فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة.

* كثرت الطوفان.

* وإغراق فرعون وجنوده.

* ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء بيباً بعد نبي في سورة الشعراء، كقصّة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿يَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾.

وبالجملة، فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، وهو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها.

ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم، من ملوك الفرس، وعلماء الطب، كبقراط، وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وأتباعه.

س ١٥٣ نحن اليوم نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة، اذكر هذه الوجوه؟.

ج: ١ - منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وحدلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

٢ - ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم، وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون، وعرق قوم نوح، وبقية أحوالهم، عرف صدق الرسل.

٣ - ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب حاهل، وأن ما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة

الخلق على ما ينفعهم، ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

س ١٥٤ إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تعالى، كيف يكون ذلك؟

ج: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بسبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفترى على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك، حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن حاحة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله، وأبطل شرائع أنبيائه، وبدلها، وقتل أوليائه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين.

فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالا للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك، وأحكم الحاكمين؟

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته، والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد، وحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، فقطعوا دابره واستأصلوه. هذه سنة الله التي خلت من قبل.

س ١٥٥ ما الفرق بين النبي والرسول؟

ج: ذكروا فروقاً بين النبي الرسول، وأحسنها:

* أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول.

* وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول^(١).

فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

س ١٥٦. أوضح قول الشارح: "الرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"؟

ج: نعم، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

س ١٥٧. إرسال الرسل وخصوصاً محمد بن عبد الله ﷺ من أعظم نعم الله على خلقه، ما الدليل على ذلك؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَرُكُوبَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٦﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾.

س ١٥٨. ما الدليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ من الكتاب والسنة؟

ج: الأدلة كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَحَاطَمُ النَّيْبِ﴾.

وقوله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، وترك منه

(١) ويُعرف النبي والرسول بتعاريف منها:

النبي: إنسان، حر، ذكر، أوحى الله إليه بشرع سابق وأمر بتبليغه.

الرسول: إنسان، حر، أوحى الله إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه.

موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيرون سواها، فكنت أنا سدوت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل"، خرجاه في الصحيحين.

وقال ﷺ: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي". متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: "وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي".

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون".

س ١٥٩ ما معنى قول الطحاوي: "وإمام الأنبياء؟"

ج: الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وكل من اتبعه واقتدى به، فهو من الأنبياء.

س ١٦٠ استدل على قول الإمام الطحاوي في وصف المصطفى ﷺ "وسيد المرسلين؟"

ج: قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم.

وفي أول حديث الشفاعة: "أنا سيد الناس يوم القيامة".

وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع ؓ، قال: قال ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".

قال ﷺ: " لا تفضلوني على موسى، فإن الناس بصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري أفاق قلبي، أو كان ممن استثنى الله ". خرجاه في الصحيحين. وقال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، وهذا فيه إشكال، فكيف يجمع بينهما؟.

(ج) ١ - أن هذا كان له سبب، فإنه كان قد قال يهودي. لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلم وقال: أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا!، فحاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا. لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصية وهوى النفس، كان مذموماً بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصية كان مذموماً، فإن الله حرم الفخر، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَصَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿بَلَّغْ أَلْرُّسُلْ فَصَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الانتقص بالفضل، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ: " لا تفضلوا بين الأنبياء " إن كان ثابتاً، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى، وهو في البخاري وغيره، لكن بعض الناس يقول: إن فيه علة بخلاف حديث موسى، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم.

٢ - وقد أجاب بعضهم بجواب آخر، وهو: أن قوله ﷺ: " لا تفضلوني على موسى"، وقوله: " لا تفضلوا بين الأنبياء"، نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله: " أن سيد ولد آدم ولا فخر"، فإنه تفضيل عام، فلا يمنع منه، وهذا كما لو قيل: فلان أفصل أهل البلد، لا يصعب على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل: لأحدهم: فلان أفضل منك.

وقد أجاب بهذا الطحاوي برحمه الله في شرح معاني الآثار

س ١٦٢. روي عن النبي ﷺ أنه قال: " لا تفضلوني على يونس " وفسره

بعضهم. أن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت. كقرب
النبي ﷺ من الله ليلة المعراج، بين الحق والصواب في ذلك؟

(ج) قال الشارح. أما ما يروى أن النبي ﷺ قال. " لا تفصلوني على يونس
" وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا حزيلاً،
فلما أعطوه، فسر به بأن قرب يونس من الله، وهو في بطن الحوت كقربي من
الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى. فإن
هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها،
وإنما اللفظ الذي في الصحيح: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من
يونس بن متى ". وفي رواية: " من قال: إني خير من يونس بن متى،
فقد كذب ".

وهذا اللفظ يدل على العموم، أي لا ينبغي لأحد أن يفصل نفسه على
يونس بن متى، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم،
أي: فاعل ما يلام عليه. فمقام الذي أسري به إلى ربه، وهو مقرب معظم ليس
كمقام الذي ألقى في بطن الحوت وهو مليم! وأين معظم المقرب من
المتحزن المؤدب!، فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب.

فانظر إلى هذا الاستدلال بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول،
وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة
الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تريد على ألف دليل.

س ١٦٣ لم نهى النبي ﷺ عن تفضيل العبد نفسه على يونس؟

(ج) الله تعالى أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام
عليه، فقال تعالى: ﴿وَدَا الثَّوْرَ إِذْ دَهَبَ مُغْمِصًا فظَنُّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى
فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)، فقد
يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ
لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله
يقول ما قال يونس: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾،

كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَدُنْكَ تَقْوَرٌ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣)، وآخرهم وأفضلهم وحائهم وسيدهم: محمد ﷺ كان يقول في حديث الاستفتاح: "... وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي..." رواه مسلم.

وكذا قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ إِسْكُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد".

فأله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم!، فلهذا قال: "لا يبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". فهذا نهى عام لكل أحد أن يتفضل ويفخر على يونس.

س ١٦٤ بم فسر الشارح قوله ﷺ: "من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب".؟

ج: قال الشارح: وقوله: "من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب"، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي. من قال هذا، فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبُنَّ عَمَلُكَ﴾، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله.

س ١٦٥ لم أخبر الرسول ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم؟

ج: قال الشارح: وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر" كما جاء في رواية.

س ١٦٦ قال الطحاوي " وحبيب رب العالمين " . من المقصود، ولم
أورد هذا القول؟ .

ج: المقصود بذلك هو الرسول ﷺ ، فقد ثبت له أعلى مراتب المحبة،
وأورده رداً على من قال: الحلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله
ومحمد حبيه .

س ١٦٧ ما الدليل على ثبوت الخلة لنبينا محمد ﷺ ؟

ج: صح عنه ﷺ أنه قال: " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " ،
وقال: " ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن
صاحبكم خليل الرحمن " . والحديثان في الصحيح . وهما ييطان قول من قال
الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيه .
وفي الصحيح أيضاً: " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته " .
فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم، والمحبة بمحمد، بل الحلة خاصة
بهما، والمحبة عامة .

س ١٦٨ يستدل من ثبتت الخلة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ بما رواه
الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال فيه "
إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر "

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت، ولا يستدل به في باب العقائد .

س ١٦٩ ما أعلى مراتب المحبة؟ ولمن ثبتت؟ .

ج: أعلى مراتب المحبة، الخلة، وثبتت لإبراهيم عليه السلام ولمحمد ﷺ .

س ١٧٠ ما مراتب المحبة؟ .

ج: للمحبة مراتب:

أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبيب .

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوه، وطلبه له .

الثالثة: الصباية، وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه،

كانصباب الماء في الحدور .

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولسها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط، الذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التتيم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الحلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، يعرف حسنه بالتأمل في معانيه.

س ١٧١ هل يوصف الرب تعالى بالعشق؟ وهل يوصف به العبد في محبة ربه، ولم؟

ج: لا يوصف الرب تعالى بالعشق، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم. واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

س ١٧٢ هل يوصف الرب تعالى بالمحبة والخلة؟

ج: قال الشارح: واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة، والود، والمحبة، والخلة، حسبما ورد النص.

س ١٧٣ ما حد المحبة؟

ج: اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً. ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع، ونحو ذلك.

س ١٧٤) لم كانت كل دعوة بعد النبي ﷺ غيً وهوى؟ وما الغي والهوى؟

ج: لَمَّا ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب.

والغي: ضد الرشاد.

والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة.

س ١٧٥) لو جاء المدعي للنبوة - بعد النبي ﷺ - بالمعجزات المخارقة

والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟

ج: نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا تظهر أمانة كذبه في دعواه.

س ١٧٦) قال الطحاوي: " وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الوري.

" ما الدليل على ذلك؟

ج: الدليل عليه، قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يَقُولُونَ أَجِئُوا بِدَاعِي اللَّهِ﴾.

وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً.

س ١٧٧) ما صحة قول مقاتل: لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن

قبل الرسول ﷺ؟

ج: هذا قول بعيد، فقد قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾. ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾.

س ١٧٨) هل في الجن رسل، أم الرسل من الإنس فقط؟

ج: الرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر. وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾. يدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً. والله أعلم.

س ١٧٩ يستدل من قال إن في الجن رسلاً بقوله تعالى ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسَ اللَّهَ بِبَيْكَةِ رُسُلٍ مِّنْكُمْ﴾. فما جوابك؟

ج: في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن في الجن رسلاً، نظراً، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي - والله أعلم - كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الدُّوَابُّ وَالْمَرْجَاتُ﴾. والمراد من أحدهما.

س ١٨٠ ما الدليل على بعثة النبي ﷺ إلى كافة الورى وجميع الناس؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها.

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى رُءُوسِهِمْ فَتُخَوِّلُ هُمُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَيُخَوِّلُهُمُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ذِكْرًا مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- وقوله ﷺ " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي. نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة." أخرجاه في الصحيحين.

- وقوله ﷺ: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " رواه مسلم.

س ١٨١ يزعم بعض النصارى أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب خاصة. فبم يرد عليهم؟

ج: قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، ظاهر البطلان، فإنهم لما صدّقوا بالرسالة، لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتماً، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

س ١٨٢ ما إعراب "كافة" في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ ؟

ج: اختلفوا في إعرابها على ثلاثة أقوال:

١ - أحدها: أنها حال من "الكاف" في "أرسلناك" وهي اسم فاعل، والتاء فيها للمبالغة، أي. إلا كافاً للناس عن الباطل.

وقيل: هي مصدر "كف" فهي بمعنى كفأ، أي. إلا أن تكف الناس كفأ، ووقوع المصدر حالاً كثيراً.

٢ - الثاني: أنها حال من "الناس"، واعترض بأن حال المجرور لا يتقدم عليه عند الجمهور، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيراً، فوجب قبوله، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله، أي. وما أرسلناك إلا للناس كافة.

٣ - أنها صفة لمصدر محذوف، أي. إرسالة كافة، واعترض بما تقدم أنها لم تستعمل إلا حالاً.

س ١٨٣ ما معنى قول الطحاوي "بالحق والهدى، وبالنور والضياء"؟

ج: هذه أوصاف ما جاء به النبي ﷺ من الدين والشرع، المؤيد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة. والضياء: أكمل من النور، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.



الفصل الخامس

القرآن كلام الله تعالى
ليس بمخلوق

القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق

س ١٨٤ ما المعتقد الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، في القرآن الكريم؟

ج: المعتقد الحق الذي قال به أهل السنة في القرآن الكريم، ما ذكره الإمام الطحاوي بقوله: " وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله تعالى، وعابه، وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصِيبُ سَقْرًا﴾ ﴿٢٦﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ﴿٢٥﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر."

س ١٨٥ افرق الناس في مسألة كلام الله تعالى على أقوال، اذكرها؟

ج: افرق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

١ - أحدها: قول الصابئة والمتفلسفة: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل المعال^(١) عند بعضهم، أو من غيره.

(١) العقل المعال: عند بعض الفلاسفة حركة من حركات بعض الأفلاك صدر عنها فلك القمر وبمسه والعناصر التي تحته، مع اختلاف أنواعها وصعاتها وأقدارها، وقد يطلقه بعضهم على حبريل عليه السلام. انظر (درء تعارض العقل والنقل ٩ ٢٥٣، ١٠ ٢١٨)

- ٢ - وثانيها: قول المعتزلة: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه .
- ٣ - وثالثها: قول الكلابية والأشاعرة: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية، كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرية، كان توراة .
- ٤ - ورابعها: قول طائفة من أهل الكلام، ومن أهل الحديث: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل .
- ٥ - وخامسها: قول الكرامية: أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً .
- ٦ - وسادسها: قول أبي البركات صاحب " اسمعير " والرازي: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته .
- ٧ - وسابعها: قول الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره .
- ٨ - وثامنها. قول أبي المعالي ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات .
- ٩ - تاسعها. قول أئمة الحديث والسنة: أنه تعالى لم يزل متكلماً، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يُسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً . وهذا ما دل عليه كلام الله وسنة رسوله، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة .

س ١٨٦ لم كسر الشيخ الهمزة في قوله: " وإن القرآن كلام الله "؟

ج: قول الشيخ رحمه الله وإن القرآن كلام الله، " إن " بكسر الهمزة عطف على قوله: إن الله واحد لا شريك له، ثم قال: وإن محمداً عبده المصطفى وكسر همزة إن في هذه المواضع الثلاثة، لأنها معمول القول، أعني قوله في أول كلامه: نقول في توحيد الله .

س ١٨٧ ما فائدة قول الإمام الطحاوي: " كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً؟ " .

(ج) هذا رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله وناقة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، وقولهم باطل.

س ١٨٨ زعمت المعتزلة أن القرآن مخلوق، وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، فبم يرد عليهم؟.

(ج) هذا تحريف للكلم عن مواضعه، وهو قول باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى، معان، وأعيان.

فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله وناقة الله. بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكريانه، وكلامه، وحياته وعلوه، وفهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

س ١٨٩ من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَازِئُهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ وعلام استدله، ولم؟.

(ج) استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة، على كلام الله تعالى. رداً على المعتزلة، فالوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُمْ خَوَازِئُهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾. فكان عباد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩). فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكلم، نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

س ١٩٠ ما أهم شبهة تحتاج بها المعتزلة على نفي كلام الرب تعالى، وبم يرد عليهم؟.

(ج) غاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم من الكلام التشبيه والتجسيم.

فيقال لهم: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله، انتفت شبهتهم،

ألا ترى أنه قال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾. فنحن نؤمن أنها تتكلم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَيُجْلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف.

س ١٩١ ما معنى قول الإمام الطحاوي: "منه بدا بلا كيفية قولاً" وإلام أشار بقوله هذا؟

ج: أشار بقوله هذا إلى إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بحلاله. ومعنى قوله. منه بدا بلا كيفية قولاً، أي ظهر منه، ولا يدرى كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: "قولاً" أتى بالمصدر المعروف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. فمادام بعد الحق إلا الضلال؟!.

س ١٩٢ في أي سياق أورد الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟

ج: أورد هذه الآية في سياق إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق به والرد على المعتزلة. قال الشارح: ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلم الله موسى، ينصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾، فبهت المعتزلي!.

س ١٩٣ ما الأدلة من الكتاب والسنة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ (٥٨). عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بين أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل

جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨). قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره عليهم في ديارهم" رواه ابن ماجه^(١) وغيره.

ففي الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْطَرُ لَهُمْ﴾، فأهالهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث^(٢). فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضلها، الذي ما طابت لأهلها إلا به.

س ١٩٤ من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْطَرُ لَهُمْ﴾ **إِلَيْهِمْ وعلى ماذا استدل به، ولم؟**

ج: استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

(١) إسناده ضعيف، وفي سنده أبو عاصم العبادي لين الحديث كما في التقريب.

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك رب وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك..." الحديث.

تعالى، ورداً على المعتزلة الذين ينفون هذه الصفة.

وفي الآية بيان أن الله أهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

س ١٩٥ من الذي يستدل بقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وعلام يستدل بها؟.

ج: تستدل المعتزلة بهذه الآية على نفي صفة الكلام، والقول بخلق القرآن. قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْجُودُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل^(١) وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٦ لم استدل أهل السنة والجماعة بقوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؟

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل لإثبات صفة الكلام. رداً على المعتزلة الذين نفوا هذه الصفة عن الخالق تعالى.

(١) انظر تعريفه، ص ٤٠.

قال الشارح عند إيراد الآية: إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُسَخَّرَتَانِ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقه، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٩٧ من الذي قال في صفة الكلام أن الله تعالى متكلم بكلام يقوم بغيره، وبم يرد عليه، وما خطورة هذا القول؟

ج: قالت المعتزلة هذا القول لتنفي صفة الكلام عن الله تعالى، وتقول بخلق القرآن، وأنه مخلوق خلقه الله في غيره. وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك، للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الحلود: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ﴾، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً، أو كفرأ، أو هذياناً!! تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره وبظامه ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير أعمى، وللأعمى بصير! لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

س ١٩٨ كيف ألزم الإمام عبد العزيز المكي من قال: إن القرآن مخلوق في أي شيء من مخلوقاته، أو هو قائم بغيره من مخلوقاته؟

(ج) ألزم الإمام عبد العزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟.

فقال بشر: أسأل أنت، وطمع في.

فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث، لا بد منها:

١ - إما أن تقول: إن الله خلق القرآن في نفسه.

٢ - أو خلقه قائماً بذاته ونفسه.

٣ - أو خلقه في غيره؟.

قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها. وحاد عن الجواب.

فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً، فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله

لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون مه شيء مخلوقاً.

وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام

خلق الله في غيره، فهو كلامه.

وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلام إلا من

متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل

كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون

مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

س ١٩٩ استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَهُ حَقُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على

القول بخلق القرآن، رد هذا القول؟.

(ج) قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَهُ حَقُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾،

والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً! فمن أعجب

العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما

يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، بإمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهُ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعوم "كل" في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾، ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك لأن المراد: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة، وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام. إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله تعالى، فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره، لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مخلوقاً، لا يصلح أن يكون دليلاً.

س ٢٠٠ تستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿إِنْ حَعَسْتَ نُزُوءَ عَرَبٍ﴾، على القول بخلق القرآن، ونقول: جعلناه، أي خلقناه، فنقد هذا القول؟

﴿ج﴾ أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسده من استدلال!

١ - فإن "جعل" بمعنى "خلق" يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ.

٢ - وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى "خلق" قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْصُوا الْآيَاتِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْلًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لِّإِتْمَاعِكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ حَمَلُوا الصَّالِيتِ الْأَثِيمَ﴾ ﴿٩١﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَحَمَلُوا الصَّلَاطَ الْأَثِيمَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ بِئْسَ أَفْئِدَةً وَنظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ، فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

س ٢٠١ من الذي يستدل بقوله تعالى ﴿تُورِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْفُقَعِ الْمُبَرَكَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، مع بيان القول الصحيح الحق؟

﴿ج﴾ تستدل المعتزلة بها على أن القرآن مخلوق، ويستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق

وما أفسد استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿تُورِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْفُقَعِ الْمُبَرَكَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة، فسمعه موسى منها!، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُورِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ والنداء: هو الكلام من بعده، فسمع موسى النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْفُقَعِ الْمُبَرَكَ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، أي: أن النداء كان في الفقة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون "من البيت" لا ابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَمُوسَىٰ إِيَّا أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهل قال: ﴿إِيَّا أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾

الْأَعْلَى ﴿ صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله!.

س ٢٠٢ ما قول المعتزلة إذا ألزموا بقوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، أن فرعون لم يقل باطلاً على مذهبكم في الكلام وقيامه بغير الله كخلقه في الشجرة، إذ كل من الكلامين مخلوق قاله غير الله؟.

ج: نعم هذا إلزام لهم، لكنهم فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد. أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله. وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

س ٢٠٣ مما تستدل به المعتزلة على القول بخلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ يَقُولُ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه. فيم تجيب؟.

ج: الجواب عن ذلك من عدة أوجه:

١ - قيل. ذكر الرسول معرّف أنه مبلغ عن مرسله، لأنه لم يقل: إنه قول ملك أو نبي، فعلم أنه بلغه عن مرسله به، لا أنشأه من جهة نفسه.

٢ - وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبريل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

٣ - وأيضاً: فقوله: رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

٤ - وأيضاً: فإن الله كفر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعل قول محمد بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو ملك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغاً. ومن سمع قائلاً يقول:

قفنا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣) ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٥)، قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذبه. ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ أهذا كلامك أو كلام غيرك؟.

س ٢٠٤ هل اتفق أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: وبالجمله فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أم أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً إذا شاء، ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم^(١).

س ٢٠٥ ما مراد بعض المعتزلة إذا أطلقوا أن القرآن غير مخلوق؟

ج: قد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتفٍ باتفاق المسلمين.

والنزاع بين أهل القبله إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع فيه مسلم في بطلانه.

(١) هذا قول مرحوح، والحق فيما قاله سلف هذه الأمة وإليه أشار الشارح بقوله: "لم يزل متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".

س ٢٠٦ ما مصدر التلقي عند أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، في باب العقائد؛ التوحيد والصفات والقدر؟.

ج: قال الشارح: ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه من كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع.

ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ائْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

س ٢٠٧ ما معتقد الإمام أبي حنيفة في القرآن؟

ج: قال الشارح: والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رحمته في "الفقه الأكبر" فإنه قال: والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله إخبار عنهم، كلام الله غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى: فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى.

س ٢٠٨ ماذا يفهم من قول الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: ولما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو صفاته؟.

ج: قال الشارح: فقلوه: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته. يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً

يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمُهُ رَبُّهُ﴾ ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه: أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

س ٢٠٩: على من رد الإمام بقوله . كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل؟

ج: هذا رد على من يقول: إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلماً

س ٢١٠: تقول بعض الفرق شيئاً من الحق ونخلطه بباطل في مسألة الكلام، فما موقف الشئني من ذلك؟

ج: قال الشارح: وبالجمله: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيتته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله.

وما يقول به من يقول: إن كلام الله قائم بذاته^(١)، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرد الشرع والعقل من قول كل منهما.

س ٢١١: كيف يُرد على من قال لمن أثبت صفة الكلام لله: يلزم أن تكون الحوادث قامت به؟

ج: إذا قالوا لنا: يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ وبصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس، وأخبروهم أن الله قال ونادي وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي

(١) هذا قول الكلاية والأشاعرة والماتريديّة.

أفهموهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى"، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه، لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره، وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه فلا يشتوا صفةً غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا. قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة. ١٩.

س ٢١٢ من الذي استدل بقول النبي ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر" وعلام استدل به؟

ج: استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل وهو قوله ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر" على إثبات صفة الكلام لله تعالى فهل يقول عاقل: إنه ﷺ عاذ بمخلوق! بل هذا كقوله ﷺ: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك" وكقوله: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". وكقوله: "وأعوذ بعظمتك أن تغتال من تحتنا". كل هذه من صفات الله تعالى، وهذه المعاني مبسوبة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

س ٢١٣ ما قول كثير من متأخري الحنفية في كلام الله، وبماذا رد الإمام الشارح قولهم؟

ج: قال الشارح: وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل، في الدلالات لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت "كلام الله" لدلالاتها عليه، وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرية فهو تورا، فاختلفت العبارات لا الكلام.

قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازاً.

وهذا كلام فاسد، فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرُوا الزِّيَّ﴾ هو معنى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) وكلما تأمل الإنسان هذا القول، تبين له فساده وعلم أنه مخالف لكلام السلف.

والحق أن التوراة والإنجيل والزبور من كلام الله حقيقة، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمْتُ رَبِّي لَفِدَّ الْبَحْرُ قَلَّ أَنْ تَعَدَّ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًا بِمِثْلِهِ مِدَادًا﴾ (١٠٩) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦). ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرؤه القارئ ليس كلام الله، لما حرم على الجنب قراءة القرآن.

س ٢١٤ قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر" كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالأسن، مكتوب في المصاحف بين هذا القول

ج: نعم هو في هذه المواضع كلها حقيقة.

وإذا قيل: المكتوب في المصحف كلام الله، فهم منه معنى حقيقي.

وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابه، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: المداد في المصحف، كانت الظرفية فيه غير الظرفية الممهمة من قول القائل. فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، وبحو ذلك. وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه خط فلان الكاتب، وهذه المعاني الثلاثة مغايرة لمعنى قول القائل: فيه كلام الله. ومن لم ينتبه للفروق بين هذه المعاني، ضل، ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، ومن لم يهتد له فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا كلام لبيد حقيقة، وهذا كلام فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة، ولا تشبه هذه الحقيقة بالأخرى.

وحقيقة كلام الله تعالى الحارجية: هي ما يسمع منه، أو من المبلغ عنه. فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها.

س ٢١٥ ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور. أو في كتاب مكنون، هل يعني هذا أنه أنزل على أولئك؟

ج: قال الشارح رحمه الله: وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ذهن ولا لسان، والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون: واضح.

فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّمَا لَقِيَ زُيْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦) أي ذكره ووصفه والإخبار عنه، إذ القرآن أنزله الله على محمد، ولم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال: "في الزبر" ولم يقل في المصحف، ولا في الرق. لأن "الزبر" جمع "زبور" و "الزُّبُرُ" هو: الكتابة والجمع، فقوله: ﴿وَإِنَّمَا لَقِيَ زُيْرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦)، أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ أي ذكره بخلاف قوله: ﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ﴾ (٣) أو ﴿لَوْجٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أو ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يُقَدَّر: مكتوب في كتاب، أو في رق.

والكتاب: تارة يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى، وضع له الفرق.

س ٢١٦ ما حقيقة كلام الله تعالى الخارجية، عندما يسمعه السامع، أو يقرؤه القارئ، أو يكتبه الكاتب؟

ج: حقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يُسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها، لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه عن مبلغه عن الله.

والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة.

ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة، وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.

س ٢١٧ على من رد الطحاوي بقوله عن كلام الله: "منه بدا"؟

ج: رد الطحاوي بقوله هذا على من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله يقول: كلام الله منه بدا. وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون منه بدا وإليه يعود.

وإنما قالوا: منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: "منه بدا" أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿وَلَنْ يَكُنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ ﴿قُلْ سَزَلَنِي رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

س ٢١٨ ما معنى قول السلف في القرآن: "إليه يعود"؟

(ج) معنى قول السلف وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار^(١).

س ٢١٩ لم قال الطحاوي في القرآن وأنه بدا من الله: "بلا كيفية؟"

(ج) قول الطحاوي يرحمه الله: "بلا كيفية" أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز.

س ٢٢٠ ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وأنزله على رسوله وحياً؟"

(ج) أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقَرَأَهُنَا فَرَقَهُ لِلْقَرَامِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١١٠) ، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

س ٢٢١ يحتاج من ينفي صفة العلو لله تعالى، وإنزال القرآن من الله العلي، في كثير من الآيات أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، وإنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام فكيف الجواب؟

(ج) ١ - أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه من الله، قال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ (١) نَزِيلٌ أَلَكْتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ وقال تعالى: ﴿نَزِيلٌ أَلَكْتُبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أُنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُنَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُبْدِرِينَ﴾ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ وقال تعالى: ﴿فَاتَّوُوا بِكْتُبِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقال

(١) روى ابن ماجه بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية.."

الحديث، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، قاله الحاكم ووافقه الذهبي.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

٢ - وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ والسماء العلو، وقد جاء في مكان آخر: أنه منزل من المزن، والمزن السحاب، وفي مكان آخر: أنه منزل من المعصرات.

٣ - وإنزال الحديد والأنعام مطلق، فكيف يشتبه هذا الإنزال بهذا الإنزال، وهذا الإنزال بهذا الإنزال؟! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود، والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم ينزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلق فحولها إناثها عند الوطاء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفلى، وعلى هذا فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وجهين.

أحدهما: أن تكون "من" لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون "من" لابتداء الغاية، وهذان الوجهان يُحتملان في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾.

س ٢٢٢ إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله " وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً"؟

ج: الإشارة إلى ما ذكره من التكلم به على الوجه المذكور وإنزاله، أي: هذا قول الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

س ٢٢٣ على من رد الطحاوي بقوله: " وأيقنوا أنه كلام الله تعالى على الحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية "؟

ج: رده على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر.

وفي قوله بالحقيقة، رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله^(١) لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الآخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أحرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الآخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد "آخرس" لكن عندهم أن المَلِك فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام كالهواء الذي هو دون المَلِك هذه العبارة.

س ٢٢٤ **وضح لنا قول الأشاعرة: أن كلام الله معنى واحداً قائماً بالذات.**

ثم بين فساد قولهم؟.

ج: قولهم عن القرآن إنه معنى قام بذات الله لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الآخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار آخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الآخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد "آخرس" لكن عندهم أن المَلِك فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام

(١) هذا قول الأشعرية والماتريدية.

كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

١ - ويقال لمن قال: أنه معنى واحد. هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه؟.

فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله! وفساد هذا ظاهر.
وإن قال: بعضه، فقد قال: يتبعض، وكذلك كل من كلمه الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه.

٢ - ولما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولما قال لهم: ﴿تَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟.
فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة.

وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعده، فبطل بذلك قوله: أنه معنى واحد قائم بالرب.

س ٢٢٥ ما مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق؟

ج: للناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق. أربعة أقوال:

١ - أحدها: قول السلف، أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن معاً.

٢ - الثاني: قول جماعة من المعتزلة وغيرهم، أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

٣ - الثالث: قول الكلائية، أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه.

٤ - الرابع: قول بعض المتأخرين من الكلائية: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى وللکلائية قول ثالث: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الأدميين.

س ٢٢٦ من الذي يستدر بتور لشعر

ب: انكلام لصي لمؤاد ورسم جعل اللسان على المؤاد ديلا

وعلام اسدل به^١ تم بين يفت وفساد هد الاستدلال^٢

(ج) تستدل بهذا القول الأشاعرة وغيرهم ممن زعموا أن الكلام معنى واحد، وهذا قول فاسد.

١ - ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه، وتلقيه بالقول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه مصوغ منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!

٢ - وقيل: إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد. وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه، فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب!.

٣ - وأيضاً: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه. والكلام على ذلك مبسوط في موضعه.

س ٢٢٧ ما وجه الشبه بين قول النصارى في اللاهوت والناسوت، وبين قول من قال إن كلام الله هو المعنى القائم بذات الله لا يمكن سماعه؟.

(ج) قال الشارح: وهما معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وإنما النظم المسموع مخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام. فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

س ٢٢٨ رد على من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، بأدلة شرعية من السنة؟.

(ج) يرّد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ:

١ - " إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس " .

٢ - وقال : " إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة " . واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها، بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب، لا يُبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

٣ - وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به " ، فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

٤ - وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد الستهم " .

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ " القول " و " الكلام " وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى.

س ٢٢٩ . متى حصل النزاع في مسمى الكلام؟

ج: لم يكن في مسمى " الكلام " نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

س ٢٣٠ . من زعم أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر! أوضح هذا المعنى؟

ج: قال الشارح رحمه الله: ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر.

فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لِي آخِذَتٌ بِالْإِثْمِ وَالْجُنُوعِ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المثلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المثلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا مثلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

س ٢٣١ هات دليلاً من القرآن على إبطال قول من قال: إن كلام الله هو معنى واحد قائم بنفس الرب. ٢٠.

(ج) الدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِي آخِذَتٌ بِالْإِثْمِ وَالْجُنُوعِ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المثلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المثلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا مثلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ ، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المثلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء مثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي في - زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سوراً مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة. قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا يُعْذِرُ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُمْرِنًا﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قُلْ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُورِ الْكِتَابِ أَوْتُوْا أَلْعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ ﴿٥١﴾ تَرْفَعُهُمْ مَّطَهَّرَةٍ ﴿٥٢﴾. ويكتب لمن قرأه بكل حرف منه عشر حسنات،

قال ﷺ: " أما إني لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ". وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين.

س ٢٣٢ ما حكم من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية؟

ج: قال الشارح: وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزاءه، فقد رجع عنه، وقال: لا تجوز القراءة مع القدرة بغير العربية.

وقالوا: لو قرأ بغير العربية، فيما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو رنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.

س ٢٣٣ بين قول الطحاوي: " ومن سمعه، وقال إنه كلام الشر، فقد كفر "؟

ج: لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكاً كان أو بشراً، وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أول وحزف، فقد وافق قول من قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ النَّسْرِ﴾ (٢٥) في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله " إن شاء الله تعالى.

س ٢٣٤ لم قال الإمام الطحاوي عن القرآن: " ولا يشبه قول البشر "؟

ج: لأنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظم ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية.

ففي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الْعَمَّ ۝١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝٢ ﴿الْعَمَّ ۝١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَمَّ الْقَيُّومُ ۝٢ ﴿الْعَمَّ ۝١﴾ رَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۝٣ ﴿الْعَمَّ ۝١﴾ كُنْتُ أَوَّلَ إِلَإِكَ ۝٤ الآية. ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝٥﴾، وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتيكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبريل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلى نفي الصفات. وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿فَأَتَوْا بِسُورَةٍ﴾ ولم يقل بحرف أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف ومحمد الشيباني صاحبنا أبي حنيفة رحمهما الله: إن أدنى ما يعجز في الصلاة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك. والله أعلم.

س ٢٣٥ ما حكم من وصف الله بمعنى من معاني البشر؟

ج: قال الإمام الطحاوي: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر".

س ٢٣٦ ماذا أفاد قول الإمام الطحاوي: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر. وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالإنسان؟"

ج: أفاد أن الله تعالى بصفاته ليس كالإنسان، نفياً للتشبيه عقيب الإثبات، يعني: أنه تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل،
باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرت التعطيل، ودم التشبيه،
والمعطل يعد عدماً، والمشبّه يعد صنماً. ويأتي في كلام الشيخ: "ومن لم
يتوق النفي والتشبيه، رل ولم يصب التنزيه" وكذا قوله: "وهو بين التشبيه
والتعطيل" أي. دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، لما
سأذكره إن شاء الله تعالى.

وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات
الخالق كما يليق به.

وقوله: "فمن أبصر هذا اعتبر" أي. من نظر بعين بصيرته فيما قاله
من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبهة، اعتبر وانرجر عن مثل
قول الكفار.



الفصل السادس

الرؤية

الرؤية

س ٢٣٧ من الذي أنكر رؤية أهل الجنة لربهم تعالى، ومن الذي أثبتها؟

ج: أنكرت الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

س ٢٣٨ ما منزلة مسألة الرؤية من الدين؟

ج: هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرّمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

س ٢٣٩ ما أظهر دليل يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية، وما موقف من نقاها، منه ومن غيره؟

ج: ذكر الطحاوي رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَوُحِّىَ يَوْمَئِذٍ نَاقِرٌ﴾ (٢٣) إِنَّ رَبَّهَا نَاقِرٌ ﴿٢٣﴾ وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلًا، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص، ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

س ٢٤٠ ماذا جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، ولماذا ذكره الشارح؟

ج: هذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جنائية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه والحرّة؟ وهل خرجت الحوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!.

وذكره الشارح ليبين خطر هذا النهج الفاسد في تأويل النصوص بلا دليل لما ذكر مسألة الرؤية وتأويل أهل البدع لها بلا دليل، من نقل أوعقل.

س ٢٤١ ماذا قالت المعتزلة وأهل التحريف في استدلال المثبتين للرؤية في قوله تعالى ﴿ذُوْهُ نَصْرُهُ يَوْمَ نَاصِرَةٌ﴾ إلى رَئِيسِهَا طَائِفَةُ رضي الله عنهم؟

ج: قالوا بعدم الرؤية، وأولوا الآية بلا دليل، فقالوا: المعنى منتظرة ثواب ربها؟! فنفوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله وما أجمعت عليه الأمة.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

س ٢٤٢ للنظر عدة استعمالات في القرآن ما هي، وفي أي سياق ذكرها الشارح يرحمه الله؟

ج: للنظر عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١ - فإن عدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله. ﴿أُطْرُوكَا نَقِيْشَ مِنْ قُورَيْكُمْ﴾.

٢ - وإن عدي بـ " في "، فمعناه: التفكير والاعتبار، كقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ - وإن عدي بـ " إلى " فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر! وقد أوردها المؤلف في سياق الرد على أهل البدع، لما أنكروا الرؤية، ورعموا أن الآية تعني الانتظار، فأوضح أن الآية تعني النظر لأنها عُديت إلى.

س ٢٤٣ هل لك أن تذكر بعض كلام السلف في إثبات الرؤية؟

ج: ١ - روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وَوُحُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) - قال: من السهاء والحسن إلى ربها نَاطِرَةٌ (٢٣) قال: في وجه الله ﷻ.

٢ - عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فَنُظِرْتُ بنوره.

٣ - وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٢٣) قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ.

٤ - وقال عكرمة: ﴿وَوُحُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) - قال: من السعيم إلى ربها نَاطِرَةٌ (٢٣) قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

س ٢٤٤ استدل ببعض الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية؟

ج: ١ - قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله ﷻ.

٢ - وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَرِيبَآدٌ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسره بذلك رسول الله ﷺ والصحابه من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَرِيبَآدٌ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن

ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة".

وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم، وروى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم.

٣ - وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ (١٥)، احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة. ذكر الطبري وغيره عن المزني، عن الشافعي، وقال 'سأله: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ (١٥)، فقال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَبُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٧) إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وهي من أظهر الأدلة على إثبات الرؤية، وقد سبق الكلام عليها آنفاً.

س ٢٤٥ اذكر آية واحدة تحتج بها المعتزلة وأهل البدع على نفي الرؤية، من القرآن الكريم؟

ج: يحتجون بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِى﴾، والآية دليل عليهم واستدل بها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّى أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجل طعماً، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح:

إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَوْنِي﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الحامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف أكل وأشرب وأنام، والكل عندهم (المعتزلة) سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَعَلْنَا رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلي للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلي لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأييد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأييد لا يدل على دوام النفي في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَا بِمَنْدِكَ لِيَقْبِضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ولأنها لو كانت للتأييد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ إِلَهِي﴾. فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى:

ومن رأى النفي بـلن مؤبداً فقلوه اردد وسواه فاعضدا

س ٢٤٦ من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وعلام استدل بها؟ فصل القول في ذلك؟.

(ج) استدلت بها المعتزلة على نفي رؤية الله في الآخرة، واستدل بها أهل السنة والجماعة على رؤيته تعالى في الآخرة. والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بأذنه المتضمن كمال توخده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذا: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (١١) قَالَ كَلَّا ۖ، فلم ينف موسى ﷺ الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما وجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يُدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المحلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

س ٢٤٧. ما صحة أحاديث الرؤية التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثباتها، واذكر بعضاً منها؟

(ج) الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الدالة على الرؤية، متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن. فمنها.

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أن أناساً قالوا: يا رسول الله، هل يرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك". الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في الصحيحين نظيره.

٢ - وحديث جرير بن عبد الله البجلي، قال: "كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته". الحديث أخرجاه في الصحيحين. وحديث صهيب رضي الله عنه المتقدم، رواه مسلم وغيره.

٣ - ومن حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: "وليلتين الله أحذكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى يا رب" رواه البخاري.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول ﷺ قالها.

س ٢٤٨ كيف يقف المسلم على الصفات الإلهية؟

(ج) من أراد الوقوف عليها فليواضب، سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتحلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

س ٢٤٩ كيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام، مع الاستدلال؟

(ج) قال الشارح: وكيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله! وكيف يُفسر كتاب الله بغير ما فسر به رسول الله ﷺ وأصحاب رسوله، الذين نزل القرآن بلغتهم! وقد قال ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية: "من قال في القرآن بغير

علم فليتبوأ مقعده من النار". وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَمَ وَابًا﴾، ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

س ٢٥٠ يزعم من ينفي الرؤية أن الأحاديث التي أثبتت الرؤية فيها تشبيه،
ويزعم من أثبتها أنه يرى لا في جهة، فبم يرد عليهم؟

ج: ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن في هذا دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة!!، فليراجع عقله، فإذا أن يكون مكابراً لعقله، أو أن يكون في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة؟

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حذق الرائي البصر في شعاعها، ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا آفَقَ قَالَ سُبْحَنكَ بُتْ لَيْلِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، قال غير واحد من السلف: لا يطبقون أن يروا الملك في صورته، فلما أنزلنا إليه ملكاً، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشبهه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول من أثبت موجوداً يرى لا في جهة، أقرب إلى العقل

من قول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يرى ولا في جهة.

س ٢٥١ بم يرد على من نفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة؟

ج: يقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟

فإن أردت بها أمراً وجودياً، كان التقدير:

كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يرى، وليس العالم في عالم آخر، وإن أردت بالجهة، أمراً عدمياً، كانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه في جهة بهذا الاعتبار.

س ٢٥٢ من هم الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة

وما حكم ذلك؟

ج: الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم، وقد حكموا العقل وأئمتهم من أهل البدع بدلاً من النصوص الشرعية فضلوا وأضلوا، وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان!، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث رسول الله ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومن لا يسلك سبيلهم، فإنه يتكلم برأيه، وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة، فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف له أجره.

س ٢٥٣ لم خصص الإمام الطحاوي أهل الجنة بالرؤية في قوله: "والرؤية

حق لأهل الجنة"؟

ج: تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم نفي الرؤية عن غيرهم، ولا شك في

رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ ويدل عليه قوله تعالى ﴿يَجِئْتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

س ٢٥٤ هل يرى أهل المحشر ربهم تعالى ؟

ج: اختلف في رؤية أهل المحشر لربهم تعالى، على ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين الصافقون دون بقيه الكفار. وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

س ٢٥٥ هل رأى أحد من الناس ربه في الدنيا بعينه؟

ج: اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة.

س ٢٥٦ اذكر الأقوال في رؤية محمد ﷺ ربه في الدنيا؟

ج: اختلف الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفا" اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عطاء عنه: رآه بقلبه، ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال:

وأما وحوبه لنبيينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع ولا نص، والمعول فيه على آية النجم، والتنازع فيها مأثور، والاحتمال لها ممكن.

س ٢٥٧ هل رؤية الرب تعالى ممكنة في الدنيا؟

ج: القول الذي ذكره القاضي عياض آنفاً بقوله: فليس فيه قاطع... إلخ.

هو الحق. فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه.

س ٢٥٨ ما القول الراجح في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا؟

ج: لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه. بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في "صحيحه":

١ - عن أبي درة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنى أراه". وفي رواية: "رأيت نوراً".

٢ - وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بحمسة كلمات، فقال: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر: "رأيت نوراً": أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: "نور أنى أراه": النور الذي هو الحجاب يجمع من رؤيته، فأنى أراه! أي فكيف أراه والنور حجاب بيبي وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

وحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها ألبته.

س ٢٥٩ لم قيد الطحاوي الرؤية بقوله: "بغير إحاطة ولا كيفية"؟

(ج) قيد الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية " لكمال عظمتة وبهائه سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عِلْمًا﴾.

س ٢٦٠ قال الطحاوي رحمه الله "... لا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ". ما مقصود الإمام بالعبارة السابقة، وعلى من رد بها؟.

(ج) مقصوده بها إثبات نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة كالرؤية والعلو وغيرها، وتفسيرها على ما أراد الله وعلمه، وكل ما جاء عن رسول الله ﷺ وصح، فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا تدخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه. فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاقد المخالف له.

فكل تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لطاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم.

س ٢٦١ ما الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم؟ ولم ذكر الشارح هذه الطرق؟.

(ج) يعرف مراد المتكلم بطرق متعددة:

١ - منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى.

٢ - منها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حُف كلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. و"إنكم ترون ربكم عياناً، كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب". فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقاً في إخباره. وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه، ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وذكر الشارح هذه الطرق ليرد على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين أنكروا الصفات أو بعضها، ولم يردوا ما جاء عن الله ورسوله إلى ما أراد الله ورسوله، ودخلوا في ذلك متأولين بأرائهم متوهمين بأهوائهم، فأبان بهذه الطرق أن التأويل لنصوص الكتاب والسنة لم يدل عليه دليل من السياق، وليس معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده الهادي بكلامه، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم. ثم أورد الشارح يرحمه الله الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم.

س ٢٦٢ ما حقيقة تأويل المؤولة (أهل التحريف) لنصوص الكتاب والسنة؟.

ج: حقيقة الأمر: أن قول القائل منهم - أي أهل التحريف -: نحمله على كذا

وكذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع (ردّ) دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه (المثبت للصفات) لما احتج عليه به (بالدليل) ولم يمكنه دفع وروده (ثبوته)، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

س ٢٦٣: بماذا يرد على أهل التحريف لو قالوا: إن النص لما ورد، ولا يمكن تعطيله، استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، على أن مجازه هو المراد؟.

ج: فإن قيل: إن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره (التأويل) على أن مجازه هو المراد، فحملنا عليه دلالة لا ابتداء.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم (الله ورسوله) أنه أراد، وهو إما صدق وإما كذب كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره، ولا يبين للسامع المعنى الذي أراد، بل يقرن بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة. ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك (التأويل)، ولكن المنكر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح، وإفهام مراده! كيف والمتكلم (الله ورسوله) يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال.

س ٢٦٤: ما معنى قول الطحاوي: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه؟.

ج: أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!.

س ٢٦٥: هل يكون تعارض بين العقل والنقل؟ وما العمل إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؟.

ج: التعارض بين العقل والنقل لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل

ذلك، فإن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر، لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة. فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقل صحيح أبداً.

س ٢٦٦: ما الحكم إذا تعارض العقل والنقل؟.

ج: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل، لكننا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل، لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل، لزم ألا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً، لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

س ٢٦٧: ما الواجب على أهل العلم والعامة تجاه النصوص الشرعية؟.

ج: الواجب عليهم كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه أحد بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

س ٢٦٨: ذكر المؤلف توحيدين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، ما هما ولم ذكرهما؟.

ج: التوحيدان اللذان لا نجاة للعبد إلا بهما، هما:

١ - توحيد المرسل.

٢ - توحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له، نقّذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة، فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملًا، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الإشراف بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح، يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به، حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبوله على موافقة فلان وفلان، كائناً من كان.

وذكرهما الإمام الشارح ليحاج بهما أهل البدع الذين يسلمون لأحدهما ولا يسلمون للآخر بل ينقصونه وبخاصة في باب العقائد.

س ٢٦٩: هات دليلاً واحداً من السنة في النهي عن الجدل في القرآن والنصوص الشرعية بلا علم وبغير دليل؟

ج: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة^(١)، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: " مهلاً يا قوم، بهذا أهلك الأمم من قبلكم باختلافهم على

(١) أي: في ناحية منفردين.

أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، وإنما يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه".

س ٢٧٠: هات دليلين من القرآن في تحريم القول على الله بغير علم؟

ج: لا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم.

١ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من سائر كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه، لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده لكن لم يعرف، هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه، فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم.

س ٢٧١: ما العلم النافع؟ وهل يجوز أخذ العلم من سائر الناس؟

ج: العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم عن غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه، العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير.

س ٢٧٢: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"؟

ج: هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء. أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا التسليم. وهذا كلام جامع نافع.